

جامعة الأزهر  
Al-Azhar University

**قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي**

إعداد

د/ علاء حسن جابر إبراهيم

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد، في كلية الدراسات الإسلامية والعربية  
للبنات بسوهاج جامعة الأزهر، مصر.

العام الجامعي: ١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م



## مفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

علاء حسن جابر إبراهيم

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج  
جامعة الأزهر مصر.

البريد الإلكتروني: AlaaEbrahim78@azhar.edu.eg

**ملخص البحث:** يعد مفهوم التنوير من القضايا التي شغلت الكثير بين مؤيد ومعارض نظراً لمفهوم المصطلح وما يرمى إليه ولذلك أردت أن أميط اللثام عن حقيقة هذا المصطلح بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، تحدثت عن تعريف التنوير بالمفهوم الإسلامي واشتقاق كلمة تنوير مستنداً بالقرآن الكريم مبيناً أنه مصطلح مأخوذ من النور ووقت إسفار الصبح كما جاء في الكتاب العزيز وهو ما يختلف شكلاً ومضموناً عن التنوير بالمفهوم الغربي الذي هو حركة فلسفية بدأت في القرن الثامن عشر تؤمن بالعقل قام بها مجموعة من الفلاسفة في مواجهة تسلط وقف في وجه العلم والعقل وحجر على الفكر واعاق كل العلوم ولذلك كان رد فعل لمرحلة معينة اتسمت بالجمود والكهنوت؛ ولذلك جاءت فلسفة التنوير الغربي تدعو إلى إقصاء الدين ورفضه والكفر بكل ما هو ديني واحلال تاليه العقل والإنسان بدلاً من الإله بعد مرحلة ما يسمى بالعصور الوسطى أو عصور الظلام، ثم تحدثت عن العوامل التي دعت إلى ما يسمى بالتنوير الغربي متمثلاً في سلطان الكنيسة وفسادها آنذاك وما صاحب هذا الفساد من تسلط الكنيسة وفساد البابا وحجرتها على العقول ومنعها البحث العلمي الحر وإقامة ما يسمى بمحاكم التفتيش لمعاقبة من يخرج عن سلطان الكنيسة ناهيك عن صكوك الغفران وغير ذلك من الفساد الذي تنضح به الكتب التي ارخت لهذه المرحلة، ثم ختمت البحث بالحديث عن بين تنوير وتنوير بينت أن الإسلام مجد العقل

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

ورفع شأنه وحث على التدبر والتعقل ممتدحا أولو الأبواب وأولو العقول وانه لا توجد خصومه بين الدين والعقل ولا بين الدين والعلم بخلاف التنوير بالمفهوم الغربي الذي جاء كرد فعل للدين المحرف، وبيّنت ان ما ينسحب على الغرب لا ينسحب على الدين الإسلامي مستشهدا بالقرآن الكريم والسنة النبوية والحضارة الإسلامية التي ملأت الدنيا نورا وعلمًا في شتى المجالات لأكثر من عشرة قرون كانت أوروبا تغط في ظلمات الجهل ودياجير الظلام وبيّنت بالدليل ان الدين هو الذي صنع هذه الحضارة وليس كما يدعى المأفوفين أو المفتونين بالحضارة الغربية.

**الكلمات المفتاحية:** التنوير الإسلامي، التنوير الغربي، فلسفة، النهضة الفكرية.



## The Issue of Al-Tanwir (Enlightenment) Between the Islamic and Western Concepts

Alaa Hassan Gaber Ibrahim

Department of Creed and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag, Al-Azhar University Egypt.

**Email:** AlaaEbrahim78@azhar.edu.eg

**Abstract:** The concept of Enlightenment is considered one of the issues that has preoccupied many, both supporters and opponents, due to the understanding of the term and its implications. Therefore, I aimed to shed light on the reality of this term between Islamic and Western thought. I discussed the definition of Enlightenment according to the Islamic concept and the derivation of the word "Tanwir" (enlightenment), citing the Holy Quran and clarifying that it is a term derived from the light and the time of early morning travels as mentioned in the Holy Qur'an. This differs in form and substance from Enlightenment in the Western concept, which is a philosophical movement that began in the eighteenth century, believing in reason and carried out by a group of philosophers in the face of tyranny that stood against science and reason, restricted thought, and hindered all sciences. Therefore, it was a reaction to a specific stage characterized by stagnation and priesthood. Consequently, Western Enlightenment philosophy called for the exclusion and rejection of religion, and the denial of all that is religious, replacing the worship of Allah with the deification of reason and humanity after the so-called Middle Ages or Dark Ages. Furthermore, I discussed the factors that led to what is known as Western Enlightenment, represented by the authority and corruption of the Church at that time, and the accompanying tyranny of the Church, the corruption of the Pope, the Church's intellectual

suppression, the prevention of free scientific research, and the establishment of the Inquisition to punish those who deviated from the Church's authority, not to mention indulgences and other forms of corruption that permeate the books that chronicled this period. Then I concluded the research with a chapter titled "between Tanwir and Tanwir," clarifying that Islam glorified reason, elevated its status, and urged reflection and intellect, praising those endowed with understanding and reason. It emphasizes that there is no conflict between religion and reason, nor between religion and science, unlike Enlightenment in the Western concept, which came as a reaction to a distorted religion. The research further clarifies that what applies to the West does not apply to the Islamic religion, citing the Holy Quran, the Prophetic Sunnah, and Islamic civilization, which filled the world with light and knowledge in various fields for more than ten centuries while Europe was immersed in the darkness of ignorance. It demonstrates with evidence that religion is what created this civilization, and not as claimed by the misguided or those infatuated with Western civilization.

**Keywords:** Islamic Enlightenment, Western Enlightenment, Philosophy, Intellectual Renaissance.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

إن الحمد لله نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله - تعالى - من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ربه رحمة للعالمين وحجة على العباد أجمعين ففتح به ص أعينا عمياً على العباد أجمعين وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وهدى به من الضلالات وختم به الرسالات وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وأتباعه ومن سار سيرته واستن بسنته إلى يوم الدين..

### وبعد،،،

إن الصراع بين الحق والباطل صراع أبدي منذ أن وجد الإنسان على هذه الدنيا، وقد أخذ هذا الصراع ألواناً كثيرة كتلك التي كانت بين الرسل - عليهم السلام - وأقوامهم حتى وصلنا إلى الرسالة الخاتمة رسالة الإسلام. وكان الصراع على أشده، واتخذ هذا الصراع ألواناً وأشكالاً متعددة مرة باللسان وأخرى بالفعال ولما كان الإسلام هو الدين الذي ختمت به الرسالات وانقطع الوحي بانتقال النبي ﷺ بدأ هذا الصراع يطفو تارة ويخبو أخرى، ويأخذ صوراً عدة، وظلت العداوة التي أخبر بها الوحي الإلهي في نفوس أصحابها ﴿تَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾<sup>(١)</sup> ومن هذا حذو اليهود من أصحاب الديانات السابقة على الإسلام فكانت محاولة التشكيك في الإسلام في حياة النبي ص بدءاً من معركة تحويل القبلة،

(١) سورة المائدة آية ٨٢

وتشكيك المسلمين في دينهم من هؤلاء الذين وصفهم الله بالسفهاء ﴿سَيَقُولُ  
السَّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الْغَيُّ كَانُوا عَلَىٰ غَيٍّ...﴾<sup>(١)</sup> ثم انتقل الصراع إلى  
الفعال بدءاً من محاولات اليهود من النيل من الإسلام بالقتال ثم الحروب  
الصليبية وتلك الحملات التي باءت بالفشل وأدرك الغرب أن سبيل المواجهة  
لن يجدي مع المسلمين فكان لابد من التفكير في الوسائل الأخرى وكان من  
أهم هذه الوسائل التي تضمن زعزعة عقيدة المسلمين وضعفها الغزو الفكري  
للعالم الإسلامي، وبدأ الغرب خطته الشيطانية الخبيثة فأوجد الكثير من  
المصطلحات وبدأ يصدرها إلى العالم الإسلامي مثل الشيوعية، والعلمانية  
والرأسمالية، والليبرالية والحادثة، وما بعد الحداثة والتنوير وغيرها من  
المصطلحات إلى جانب تقطيع أواصر العالم الإسلامي بالقضاء على وحدته  
والمتمثلة في الخلافة الإسلامية ولكن كل هذا قوبل بتوجس شديد لأن القائمين  
عليه كانوا من المستشرقين أو المبشرين أي أنهم غير مسلمين ولذلك كانت  
أفكارهم وكلامهم محل ريبة وشك عند المسلمين ولذلك عمد هؤلاء على  
تربية وتجنيد بعض سماسرتهم مما يدينون بديننا ويتكلمون لغتنا ويطعمون  
طعامنا ويعيشون على أرضنا ويسمون بأسمائنا فتربوا على أيديهم وكان  
هؤلاء إما جهلاء ونكرة يحبون الظهور ووضع الغرب كل الإمكانيات المادية  
والمعنوية تحت أقدامهم، وإما قوم انبهروا بالحضارة الغربية فلم يروا غيرها  
فظنوا أن السبيل واحد وهو أن تسير سيرة الغربيين كما قال أحدهم، وأن  
الطريق واحد. وإما حانقين على الإسلام كارهين له، وإن أظهروا الإسلام  
وتستروا به، وبدأ الغزو الفكري للعالم الإسلامي وكان من بين هذه الأشكال  
والألوان ما أطلقوا عليه لفظ التنوير وهو مصطلح لا يوجد في قواميس اللغة  
العربية ومعلوم أن التنوير يطلق في مقابل الظلام، فكانت رؤية هؤلاء ولا  
تزال أن العالم الإسلامي يعيش في ظلام دامس لتمسكه بالمعتقدات البالية -

(١) سورة البقرة آية ١٤٢

على حد زعمهم - وأن السبيل إلى الخروج من هذا الظلام أن ننظر ماذا فعل الغرب ليخرج من هذه التقاليد البالية والمعتقدات التي تعوق العقل والعلم مستدلين على كلامهم بما فعلته الحضارة الغربية من رفض الدين والخروج عليه، وتأليه العقل والإنسان، وبدأت حملاتهم مرة يسمون أنفسهم دعاة التنوير ، وأخرى يطلقون على دعائهم وفكرهم الواجهة، وبدأوا يبذرون بذور الشك بين أوساط المسلمين من أجل النيل من الإسلام عقيدة وشريعة ووجدوا لهم أنصاراً كثيراً ممن لا فقه لهم ولا علم، واستخدم هؤلاء كل السبل ولاسيما أن الغرب ساندتهم بكل الوسائل، وأوعز هؤلاء لكثير من المسلمين أن العدو الحقيقي الذي يقف في طريق النهضة هو الإسلام وعلماءه، وساعدهم على ذلك الإعلام الذي هو أحد أذرع اليهود عندما قدم علماء الإسلام في صورة مزرية مسفة من خلال تقبيح صورة عالم الدين وهي خطة مكررة خبيثة كان القصد منها تهوين وتوهين علماء الإسلام. وهكذا قوى عود هؤلاء التنويرين فأصبحت لهم مقالات في كثير من الصحف المقروءة، وبرامج على الشاشات المسموعة والمنظورة، وبدأ بعضهم يتهم على السنة النبوية وعلى صاحبها ص وحاول الكثير منهم النيل من القرآن الكريم، من خلال التشكيك في مصدره- الوحي- ومن خلال جمع القرآن الكريم وغير ذلك مما تتضح به كتبهم ومقالاتهم المسموعة والمرئية، بل استهزئ كثير منهم بكثير من العبادات مثل الصيام والحج وغيرهما من العبادات واستفحل الأمر حتى كاد الخرق يتسع على الراقع. ولما كان الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿...قُلِ اللَّهُ

وَلِنَا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup> كان لا بد من تفنيد شبهات هؤلاء المأفونين المفتونين من خلال الرد عليهم ودحض شبهاتهم، ولذلك استخرت الله تعالى في أن أكتب في هذا الموضوع المهم الذي هو موضوع الساعة لأسباب أهمها:

حسبة لله تعالى ونصرة وغيره على دينه ونبيه وكتابه وأخذت أبحث عن عنوان حتى هداني ربي إلي هذا العنوان:

### قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لهذا البحث أهمية بالغة تتجلى في التالي:

- دخول هذا المصطلح في حياتنا ، وتأثيره في المناخ الثقافي.
- وجود حركات فكرية تتبنى التنوير بمفهومه الغربي.

### أما عن أسباب اختياره :

فهي: الرغبة في التعرف على الفكر الغربي والفكر الإسلامي والمقارنة بينهما في حيدة تامة، دون حيف أو جور، وإبراز دور المفكرين تجاه أمهم في لحظة ما من لحظات التاريخ، وقد اعتبر عصر التنوير البوابة الفعلية التي أدخلت الغرب عالم التطور والتحضر؛ لذا أصبح من المهم دراسة وتحليل هذا المفهوم.

### الدراسات السابقة:

توجد بعض الدراسات التي تطرقت إلى بعض عناصر مفهوم التنوير، من أبرزها:

- التنوير، دوريندا اوترم . كتاب يبحث في الجذور التاريخية للتنوير ومفهوم التنوير في فكر أبرز فلاسفة التنوير
- مدخل إلى التنوير الأوروبي، الدكتور هاشم صالح . تعرض فيه الباحث إلى دلالات هذا المفهوم في الفكر الأوروبي، وتطرق إلى بعض رواد التنوير عصر التنوير.
- (فلاسفة القرن الثامن عشر، ايسايا بيرلين . كتاب يبحث عن أهم فلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر، ويبين تطور مفهوم التنوير عندهم .

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

- مدخل إلى التنوير، د. مراد وهبة. أبان فيه تأثير بعض فلاسفة التنوير بفلسفة الحضارات السابقة، ثم ذكر أهم الأعمال التي قاموا بها.
- فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، د. محمد السيد الجليند ناقش فيه مفهوم التنوير وحقيقته والركائز التي يقوم عليها، وموقفه من الدين .
- فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، د. عبد الوهاب المسيري . وجه نقدًا حادًا لمفهوم التنوير.
- قضية التنوير في العالم الإسلامي د. محمد قطب ط/ دار الشروق.
- فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي . محمد السيد الجليند. دار قباء للطباعة- القاهرة ١٩٩٩م.
- الإسلام بين التنوير والتزوير. د. محمد عمارة، دار الشروق. القاهرة ٢٠٠٢م.
- مفهوم التنوير في الفكر الغربي دراسة نقدية في ضوء الاسلام. خولة أحمد عبداللطيف الملا، تحقيق/ عبد الله بن حمد العويس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض ٢٠١١م- رسالة ماجستير.
- التنويريون المعاصرون واتجاهاتهم في العالم الإسلامي الحديث، د. ابتسام ناجح عبدالله آل محفوظ. بحث في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية.
- مصطلح التنوير: مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث " نظرة تقويمية" محاضرة أعدها وقدمها د. عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ. أستاذ الملل والنحل والمذاهب بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز - جدة ٢٠٠٥م.

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

- مفهوم التنوير بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية .د. صبري محمد خليل. أستاذ فلسفة القيم الإسلامية بجامعة الخرطوم.

### ثالثاً: حدود البحث:

وقد جاء هذا الموضوع في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة:  
أما المقدمة فقد اشتملت على أسباب اختيار الموضوع  
المبحث الأول: مفهوم التنوير الإسلامي والغربي.  
المبحث الثاني: عوامل ظهور فلسفة التنوير الغربي.  
المبحث الثالث: حركة الإصلاح وعصر النهضة الأوروبية.  
المبحث الرابع: بين تنوير وتنوير.  
المبحث الخامس: القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم.  
الخاتمة: وضمنتها أهم ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج.

### منهج البحث:

- سوف أتبع في هذا البحث المنهج التحليلي والمنهج النقدي.  
- الرجوع إلى المصادر الأصلية للموضوع حسب الاستطاعة.  
- الإحالة إلى ما نقل نصاً بذكر اسم المصدر، وفي حالة التصرف في النقل يحال بـ (انظر).  
- التعريف بالمصطلحات وغريب الألفاظ.  
- الالتزام بقواعد اللغة العربية وعلامات الترقيم.  
- تخريج الأحاديث والآثار .

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم سبحانه وأن يغفر لي ما فيه من زلل أو تقصير، وهو جهد المقل فإن كنت وفقت فله الحمد والمنة وإن تكن الأخرى فما لها قصدت ولا أردت وحسبي أنني بشر يخطئ ويصيب وسبحان من جعل الكمال دليلاً على نقص البشر.



## المبحث الأول

### مفهوم التنوير الإسلامي والتنوير الغربي

#### تعريف التنوير في اللغة:

جاء في لسان العرب أن التنوير هو وقت إسفار الصباح يقال: نور الصباح تنويراً، والتنوير: الإنارة، والتنوير الإسفار، ويقال صلى الفجر في التنوير<sup>(١)</sup>.

وفي المعجم الوسيط: استنار أي أضاء، ويقال استنار الشعب صار واعياً مثقفاً وبه استمد شجاعته وعليه: ظفر به وغلبه. ونور الله قلبه: هداه إلى الحق والخير<sup>(٢)</sup>.

ويطلق اسم النور على الهداية كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾<sup>(٣)</sup> أي الهداية ﴿وَمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا...﴾ أي هداية<sup>(٤)</sup> ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾<sup>(٥)</sup> أي هداية أهلها<sup>(٦)</sup>.

إن مصطلح التنوير لم تعرفه قواميس الفكر ولا معاجم الثقافة على امتداد تاريخنا العربي الإسلامي الطويل كما يقول الدكتور محمد عمارة: والمرة الوحيدة التي يطالعها الإسلام لمادة ومدخل في معاجم الفكر والثقافة

(١) لسان العرب ابن منظور ط، دار المعارف القاهرة ٤٥٧١/٦.

(٢) المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى، و أحمد حسن الزيات، وآخرون، الطبعة: الثانية ١٩٧٢م ط: المكتبة الإسلامية، تركيا ٩٦٢/٢.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٧.

(٤) سورة الأنعام آية ١٢٢.

(٥) سورة النور آية ٣٥.

(٦) مصطلح التنوير مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث نظرة تقييمية محاضرة أعدها وقدمها الدكتور عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ.

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

لكلمة التنوير سيجدها إشارة إلى عنوان كتاب في فقه المذهب الحنفي عنوانه: تنوير الأبصار لشمس الدين محمد بن عبد الله الغزي ١٠٠٤ - ١٥٩٦م وهو الذي شرحه علاء الدين الحفصلي ( ١٠٢٥ - ١٠٨٨هـ - ١٦١٦ - ١٦٧٧م) في كتاب سماه ( الدر المختار في شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان) وعلى هذا الدرب سار العديد من المؤلفين باستخدام كلمة تنوير في عناوين المؤلفات.<sup>(١)</sup>

وهو ما يؤكد أن كلمة التنوير كلمة مستحدثة لم يتعرض لها أصحاب المعاجم اللغوية إلا تعرضاً لا يتناسب مع مفهوم التنوير في العصر الحديث. (ولا أثر في أي معجم من معاجمنا الفكرية ولا في أي قاموس من قواميس وكشافات مصطلحات الفنون لمادة عنوانها التنوير"<sup>(٢)</sup>، وإذا كان القرآن الكريم قد خلا من هذا المصطلح فإن المعاجم اللغوية وليست الفكرية قد عرفته انطلاقاً من الحديث النبوي تعريفاً لغوياً لا علاقة له من قريب أو من بعيد بالمفاهيم والمضامين الغربية التي اشتهر بها هذا المصطلح في الحضارة الأوروبية وهي المفاهيم والمضامين التي يعرض بها الآن على العقل العربي والمسلم والتي نريد عرضها على ثوابت الاعتقاد الإسلامي ومناهج النظر في الحضارات الإسلامية. يعرف ابن منظور التنوير فيقول: هو وقت إسفار الصبح أي وقت صلاة الصبح، يقال قد نور الصبح تنويراً والتنوير الإنارة والتنوير الإسفار ويقال: صلى الفجر في التنوير)<sup>(٣)</sup>.

(١) الإسلام بين التزوير والتنوير د/ محمد عمارة ص ١٧/ ١٨ ط، دار الشروق.

(٢) الكليات لأبي البقاء ط دمشق ١٩٨٢م ، كشف مصطلحات الفنون ط، الهند ١٨٩٢م دائرة المعارف الإسلامية مجموعة المستشرقين ط، دار الشعب، دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ط، القاهرة القاموس المحيط احمد عطية الله ط، القاهرة ١٩٦٣م .

(٣) لسان العرب ابن منظور ط، دار المعارف القاهرة ٦/ ٥٧١.

إذن مصطلح التنوير بالمعنى الحرفي لم يرد في معاجم اللغة وهو ما يدل على أنه مصطلح معاصر لا يوجد في معاجم اللغة العربية وهذا ما أكده الدكتور زقزوق قائلاً: إن مصطلح التنوير بالمعنى الذي يستخدم به اليوم مصطلح حديث نسبياً في اللغة العربية ولكنه ليس غريباً عنها.<sup>(١)</sup> إذن هو ليس غريباً عن العربية بمفهومه الذي وضحته سابقاً من أنه مأخوذ من النور ولا أدل من أن آيات القرآن الكريم ذكرت مصطلح النور ولكن ليس على غرار المصطلح الغربي الذي سيأتي لاحقاً. ويقول الله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾<sup>(٣)</sup> ويقول سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا...﴾<sup>(٤)</sup>.

ولا شك أن هذه الآيات تؤكد أن لفظ النور موجود أما مصطلح التنوير الحداثي أو الغربي فهو مصطلح حديث، ولذلك حدث الاختلاف حول مفهوم المصطلح يقول الدكتور/ زقزوق: (يستخدم الكثيرون في عالمنا العربي والإسلامي العديد من المفاهيم التي يرددونها دون تحديد دقيق لمضامينها أو توضيح لأبعادها، وكل يستخدمها بما يروق له من فهم دون بذل أي جهد للتحقق من صحة هذا الفهم أو ذاك ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى كثير من الارتباك في الفكر. والاضطراب في الفهم والخلط بين المفاهيم، ويؤدي بالتالي إلى الخطأ في إطلاق الأحكام على الناس والأشياء... ومن المفاهيم الشائعة منذ عشرات السنين والتي تتردد كثيراً على

(١) الحضارة فريضة إسلامية د/ زقزوق ص ٢٥ هدية مجلة الأزهر رجب ١٤٣٨ هـ.

(٢) سورة النور آية ٣٥.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٧.

(٤) سورة الأنعام ١٢٢.

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

الأسنة مفهوم التنوير، وهذا المفهوم يعد من المفاهيم التي صادفت الكثير من سوء الفهم في عالمنا العربي الإسلامي<sup>(١)</sup>.

إذن قد بدا من الواضح أن مصطلح التنوير الإسلامي يختلف كثيراً عن مفهوم المصطلح الغربي فالمقصود بالتنوير الإسلامي النور والهداية كما يقول الدكتور محمد عمارة: (سندھش إذا علمنا أن قواميسنا العربية والإسلامية تضع للتنوير معاني لا علاقة لها على الإطلاق بهذه المعاني الغربية .. فالتنوير في المصطلح العربي يعني: وقت إسفار الصبح.. وبزوغ أشعة نور الصباح والرسول ﷺ يقول: «نُورُوا بِصَلَاةِ الْفَجْرِ»<sup>(٢)</sup>

والقرآن يصفه في آياته بأنه نور: "فَأَمْنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَاهُ" والإسلام نور: **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾**<sup>(٤)</sup> والرسول ﷺ: نور **﴿...قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾**<sup>(٥)</sup> والحكمة نور "فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ" <sup>(٦)</sup> والصلاة والصلاة نور: «الصَّلَاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) الحضارة فريضة إسلامية ص ١٢٢ بتصرف واختصار..

(٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي باب: الإسفار بالفجر ٧٧٨/٢ حديث رقم: ١٢٥٤

تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م. قال المحقق: إسناده

حسن من أجل محمد بن عجلان.

(٣) سورة التغابن آية ٨.

(٤) البقرة آية ٢٥٧.

(٥) المائدة آية ١٥.

(٦) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب العلم ، باب ما جاء في طلب العلم ج ٢

ص ١٠٠٢. حديث رقم (١) ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

(٧) الحديث رواه مسلم باب فضل الوضوء ٢٠٣/١ حديث رقم ٢٢٣ .

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

فالمؤمن بذلك كله مستنير وله تنويره الإسلامي الخاص ومصطلح التنوير هذا يعود بنا إلى قصة العديد من المصطلحات التي لها مضمون في فكرنا يختلف تماماً عن مضمونها في الفكر الغربي كمصطلح اليسار فهو في الفكر الغربي الذي يعنى الأجراء وأهل الفقر بينما اليسار في المصطلح الإسلامي هم أهل الغنى واليسر والثراء واليمين هم أهل الرجعية والجمود في الفكر الغربي وهم في الإسلام أهل القوة والتقوى والصلاح الذين يعطون كتبهم بيمينهم يوم القيامة . إذن القصة تبدأ من تحرير مفهوم المصطلح<sup>(١)</sup>

وبذلك يتضح أن اللفظ موجود والمصطلح مختلف، فإن مصطلح التنوير أو الاستنارة هو من الألفاظ والشعارات والمصطلحات الوافدة والتي انتشرت في العالمين العربي والإسلامي في العصر الحديث، ومبناها في الظاهر الخير والعلم والمعرفة، ولكنها تحمل في طياتها كثيراً من المفاهيم والأفكار المقبولة أو المرذولة والصحيحة أو الفاسدة . ومن هنا كان لزماً أن أعرض لمفهوم التنوير في الغرب حتى تتضح الحقيقة ويزول الإشكال.

### مفهوم التنوير عند الغربيين.

يعرف المعجم الفلسفي فلسفة التنوير بأنها: (حركة فلسفية بدأت في القرن الثامن عشر وتتميز بفكرة التقدم وعدم الثقة بالتقاليد وبالتفاؤل والإيمان بالعقل والدعوة إلى التفكير الذاتي والحكم على أساس التجربة الشخصية).<sup>(٢)</sup>

---

(١) فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين د/ محمد عمارة ص ١٩، ٢٠ بتصرف يسير ط، جمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية . سلسلة نحو وعي إسلامي.

(٢) المعجم الفلسفي تصدير د/ إبراهيم منكور ص ١٣٩ ط، مجمع اللغة العربية، القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م .

والملاحظ من التعريف: أنها حركة قام بها مجموعة من الفلاسفة في مواجهة، أو كرد فعلٍ لأمرٍ آخر أو على أنها ثورة تجاه عوامل أدت إلى قيام هذه الحركة. وأيضاً حدد وقت نشأتها وهو القرن الثامن عشر وأنها تتميز بفكرة التقدم وهو ما يعني أنها تحارب الرجعية والتخلف ثم الإيمان بالعقل وهي النقطة المحورية حيث إنه من الواضح أنها لفظت الكهنوتية وتسلط الكنيسة البابوية، أو ما يمكن أن تسميه تجاوزاً " الوحي " المسيحي إلى رفضه وإحلال العقل فيه ثم الدعوة إلى التفكير الذاتي بدلاً من النصوص الكنسية التي تعوق العقل والعلم والحكم على أساس التجربة الشخصية دون الرجوع إلى أية سلطة كائنة ما كانت كنسية أو كهنوتية وهو ما يعني تأليه سلطة العقل أو الإنسان. وهو ما يؤكد الدكتور/ زقزوق فيقول: إن من المعروف أن أوروبا في العصور الوسطى كانت تعيش في حالة من الظلام الفكري الدامس وكانت واقعة تحت ضغط سلطة كنسية طاغية تتعقب المفكرين أينما كانوا، وقد ظل الصراع هناك محتدماً بين العلم والدين وبين المفكرين واللاهوتيين قروناً عديدة، وقد تمخض هذا الصراع عن انتصار الفكر وتقلص السلطة الكنسية واستقلال العلم عن الدين<sup>(١)</sup>

وما ذكره الدكتور/ زقزوق يؤكد ما أشرت إليه من قبل من أن هذه الحركة ظهرت كرد فعل لما واجهته من تسلط الكنيسة وتحجر وتجبر ونفوذ باباواتها آنذاك، وتركز السلطة في أيديهم وهو ما يؤكد الدكتور/ محمد البهي فيقول: (كان " الدين " أو " النص " سائداً طوال القرون الوسطى في توجيه الإنسان سواء في سلوكه وتنظيم جماعته أو في فهمه للطبيعة وكان يقصد بالدين المسيحية وكان يراد من المسيحية الكتلة وكانت الكتلة تعبر عن

(١) الحضارة فريضة إسلامية د/ محمود حمدي زقزوق ص ١٢٣ هدية مجلة الأزهر

البابوية، والبابوية نظام كنسي ركز السلطة العليا باسم الله في يد البابا وقصر حق تفسير الكتاب المقدس على البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى.<sup>(١)</sup>

وبناءً على ما سبق يتضح أن هذا الفكر التنويري الغربي جاء بعد ظلمات الجهل والتخلف والحجر على العقول ووجود خصومة بين العلم والدين مما ترتب عليه خصومة بين الدين والعقل يقول د/ محمد عمارة: عندما يذكر مصطلح التنوير في الحياة الفكرية والثقافية فإنه يستدعي إلى الذهن نسفاً فكرياً أوربي النشأة والمضمون والإحياء بل لقد غدا عنواناً على نسق فكري ساد في مرحلة تاريخية محددة من مراحل تطور الفكر الغربي الحديث حتى ليقال كثيراً في تقسيم مراحل هذا الفكر عصر - التنوير، وهذا مفكر من عصر التنوير وهذه النظرية من نظريات عصر التنوير أو من ضد نظريات ذلك العصر.<sup>(٢)</sup>

وبذلك أكون قد عرفت مصطلح التنوير من الوجهة الإسلامية، ومن الوجهة الغربية وشتان بين تنوير وتنوير.

### مقارنة بين الرؤية الإسلامية والغربية للتنوير.

هناك مفارقات واضحة بين التنوير الإسلامي والتنوير الغربي، تتضح من خلاله الأسس التي انطلق منها كل تنوير ويمكن تحديد هذه الأسس في النقاط الآتية:

١- الحركة التنويرية في أوروبا حركة فلسفية، بينما الحركة التنويرية في العالم الإسلامي حركة دينية لبلورة الفهم للنص الديني بما يتمشى مع

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د/ محمد البهي ص ٢٤٩ إلى

٢٥١ بتصرف واختصار ط، مكتبة وهبة من ص ٢ .

(٢) الإسلام بين التنوير والتزوير د/ محمد عماره ص ١٩.

- العصر وفهم الواقع بمفهوم عصري.
- ٢- مبادئ التنوير في العالم الغربي قائمة على الفكر العقلي، بينما مبادئ التنوير في الرؤية الإسلامية قائمة على فهم النص المحكم وتطويعه لخدمة الفرد والمجتمع.
- ٣- السلطة التشريعية في الرؤية الغربية للتنوير قائمة على الديمقراطية والمجالس النيابية.
- ٤ - الرؤية الإسلامية للتنوير قائمة على أسس دينية ينطلق من خلالها صاحبها لدراسة الظواهر وتحليلها بما لا يتعارض مع النصوص الشرعية.
- ٥- شعار دعاة التنوير في أوروبا الدعوة إلى الحرية، المساواة، الإخاء، التقدم، التسامح.
- ٦- شعار دعاة التنوير في العالم الإسلامي الدعوة إلى إعادة صياغة التراث الإسلامي.<sup>(١)</sup>
- ٧- أعمدة التنوير الأوربية لها أركان أربعة. القانون الطبيعي. التقدم. الحرية. الحكومة الدستورية. بينما ركائز التنوير في العالم الإسلامي قائمة على التوفيق بين العقل والنقل.
- ٨- محور العمل التنويري في أوروبا الإنسان وإظهار قدراته وإمكانياته. بينما محور العمل التنويري في الرؤية الإسلامية توظيف مبادئ الإسلام لخدمة الإنسان والرقى به وبيان أن رسالة الإسلام جاءت للرقى بالمجتمعات.<sup>(٢)</sup>

---

(١) فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين، د. محمد عمارة ص ١٦، ١٨ بتصرف. دار نهضة مصر.

(٢) فكرة حركة الاستنارة وتناقضاته د. عبد الوهاب المسيري ص ٩، دار نهضة مصر.



٩- أشهر دعاة التنوير في العالم الغربي، ديكارت مؤسس المنهج العقلي، روجر بيكون مؤسس المنهج التجريبي، أوجست كونت مؤسس علم الاجتماع، كانط مؤسس المنهج النقدي. والذي قال عن التنوير. إن بلوغ الأنوار هو خروج إنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد غيره. (١)

١٠- تطابق الرؤيتين في الفكر العلماني الغربي والإسلامي؛ لأن دعاة التنوير الغربي أساتذة لدعاة التنوير الإسلامي أمثال رفاة الطهطاوي وطمه حسين ونصر حامد أبوزيد وحسن حنفي وتجرؤهم على هدم التراث الإسلامي وقدهم في القرآن والسنة. وتشكيكهم في الصحابة ونقدهم النص الديني ووضعهم السم في العسل من خلال كتبهم عن الصحابة والفتوحات الإسلامية، بخلاف دعاة التنوير القائمين على أسس إسلامية مثل جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وغيرهم الكثير..

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم ط: كلمات عربية للترجمة والنشر ص ٤٤.

## المبحث الثاني

### عوامل ظهور فلسفة التنوير الغربي

بعد أن عرفت مصطلح التنوير بمفهومه الإسلامي والغربي واتضح من التعريف أن مصطلح التنوير لا وجود له في المعاجم العربية على النسق الغربي وضح بجلاء أن هذا المصطلح وافد غربي جاء في ركاب الغزو الفكري للعالم الإسلامي شأنه شأن كثير من المصطلحات مثل العلمانية والماركسية والحادثة وما بعد الحداثة، وأن هذا المصطلح دخل على العالم الإسلامي، وأن أوروبا ربما كان لها بعض العذر في ظهور حركة التنوير وسلطان العقل والعلم وتأليه الإنسان، ولكن من المعلوم أن ما ينسحب على دين ومجتمع لا ينسحب على آخر. فإذا كانت المسيحية في القرون الوسطى تسلطت وتحكمت في كل شيء وصارت السلطة الكنسية والكهنوتية التي حجرت على العقول ومنعت العلوم واستأثرت حتى بتفسير الكتاب المقدس فإن الإسلام على خلاف ذلك كما هو معلوم من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وما تلا ذلك من حضارة المسلمين التي لم تعرف الدنيا لها مثيلاً ولذلك كان هذا المبحث في العوامل التي أدت إلى ظهور فلسفة التنوير في العالم الغربي أو ما يسمى بحركة الإصلاح البروتستانتي على يد مارتن لوتر، زونجلي، كلفن. ولا شك أن حركة الإصلاح جاءت نتيجة حتمية لفساد معين، هذا الفساد والتسلط نتج عنه أولاً حركة الإصلاح ثم أعقبها ظهور فلسفة التنوير كرد فعل لهذا الطغيان والفساد والتسلط. فكان لابد من العوامل التي أدت إلى ظهور فلسفة التنوير والتي أهمها ما يأتي:

#### أولاً: سلطة البابا.

وهذه السلطة التي حصل عليها البابا والتي منحتها له المجامع مثل مجمع روما المنعقد سنة ٨٦٩م والذي قرر أن: (الفصل في المسائل الدينية

من اختصاص كنيسة روما وأن المسيحيين جميعاً يخضعون لقرارات رئيس هذه الكنيسة ورأينا أن مجمع رومة المنعقد سنة ١٢١٥م يقرر أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتملك حق الحرمان<sup>(١)</sup>

وقد نتج عن هذا نتائج خطيرة وهي طغيان الكنيسة وفساد رجالها فأصبحت الكنيسة الكاثوليكية تصف نفسها بأنها مقدسة وتشمل القداسة في نظرهم ما يلي:

القداسة في الزمن ويشيرون بذلك إلى وجود المسيح مع الرب ومع الروح القدس كما تشمل القداسة الشعب الذي يُدعى أعضاؤه بالمقربين وكذلك الكنيسة مقدسة بمعنى أن أعمالها موجهة إلى تقديس البشر للمسيح وتمجيد الرب وتجعل ذلك غايتها وهدفها وتدعو جميع الشعب إلى السعي في اكتسابها<sup>(٢)</sup>.

ويتضح من ذلك أن الكنيسة أعطت رجال الدين صفة القداسة كما جاء (إن جميع المؤمنين لهم مثل هذا القدر من وسائل الخلاص العظيمة يدعون الرب أيّاً كانت حالهم ووضعهم وكل في طريقته إلى كمال القداسة التي مثالها كمال الأب)<sup>(٣)</sup>.

وترتب على هذا أن أصبحت الكنيسة مقدسة ورسولية وكذلك رجالها وأصبحت لها سلطة وهذه السلطة تنقسم إلى نوعين:

---

(١) المسيحية د/ أحمد شلبي ص ٢١٢ الناشر مكتبة النهضة المصرية ج ١٠ طبعة سنة ١٩٩٣م.

(٢) مدخل إلى المذاهب الفكرية المعاصرة د/ أحمد السيد على رمضان ط: مكتبات جزيرة الورد، ٢٠١٦م ص ٤٤ ص ٢٧٩.

(٣) التعليم المسيحي ص ٢٦٤ الكنيسة الكاثوليكية عربي عن المطبعة اللاتينية الأصلية المتروبوليت حبيب باشا المفكران يوحنا منصور المطران كيرليس سليم بسترس الأب حنا الناخوري.

### أولاً: السلطة الدنيوية ( الزمنية):

وقد ازداد نفوذ الكرسي الرسولي مكانة ومقاماً خاصة عندما انحلت السلطة المدنية بسقوط الامبراطورية الرومانية فحلت سلطة البابا مكانها وأصبح الباباوات حماة الدين والمدنية تجاه القبائل المعادية لروما وقد اجتمعت رعايا إيطاليا حول الباباوات وخضعت لسلطتهم حتى تكونت ما يسمى بالمملكة البابوية ودخل الباباوات في صفوف الملوك بل تفوقوا عليهم وأصبح بأيديهم تنصيب الأباطرة أو خلعهم وهذه السلطة الزمنية (الدنيوية) كانت موضع نزاع بين الأمراء والباباوات مرة يستبد بها هؤلاء ومرة أولئك<sup>(١)</sup>.

وليت الأمر يقتصر على هذه السلطة الزمنية أو الدنيوية بل ساد طغيان الكنيسة حتى امتد إلى :

### ثانياً: السلطة الروحية:

وهذه السلطة في يد الكنيسة ورأس الكنيسة هو البابا وسلطة البابا على الكنيسة سلطة مطلقة لأنه خليفة بطرس والنائب الحقيقي للسيد المسيح عليه السلام، وأبو المسيحيين ومعلمهم وعليه فسلطته تنصب بما يلي:

١- عامة: تتناول الكنيسة كلها الأساقفة وأتباعهم الأفراد والجماعات ولا يمكن لأحد أن يقيدوها مهما كانت رتبته في الكنيسة لأن الباب سلمه الرب كل خرافه فمن لا يرعاه بطرس أو خلفاؤه فليس من خراف المسيح.

٢- سلطة دائمة: أي ليست مقتصرة على بعض الظروف بل تشمل كل الظروف والأحوال كسلطة السيد المسيح الذي هو نائبه<sup>(٢)</sup>.

(١) أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوروبية عمر فروخ ص ٤ ط، بيروت.

(٢) الكنيسة أو مملكة المسيح ص ١٣١: ١٣٤ نقلاً عن مدخل إلى المذاهب الفكرية المعاصرة.

وتدعى الكنيسة اتصال سندها إلى المسيح وبذلك يكون البابا نائباً عن المسيح وأيدت هذا الزعم بأنها كنيسة رسولية لأنها مؤسسة على الرسل وذلك يتضمن عندهم ثلاثة أمور:

الأول: أنها مبنية على أساس الرسل الذين اختارهم وأرسلهم المسيح نفسه.

الثاني: أن التعليم الذي تحفظه وتنقله هو تعليم الرسل أنفسهم.

الثالث: أن الرسل لا يزالون يعلمون ويسوسون الكنيسة إلى عودة المسيح عليه السلام من خلال الأساقفة والرسول الذي تنسب الكنيسة الكاثوليكية نفسها إليه هو بطرس الرسول الذي سلمه المسيح عليه السلام رئاسة الكنيسة الرومانية ومنحه سلطانه وأعطاه مفاتيح الحل والعقد وغرض الكنيسة الرومانية من هذه النسبة وصل سندها إلى المسيح وأنه هو الذي يسوسها كما أنه حاضر فيها لتبرر بذلك دعوى رئاستها.<sup>(١)</sup>

ولعل أسهبت في سلطة البابا لما ترتب على ذلك من مفساد أدت إلى خروج الأوربيين عليها فلقد ترتب على سيادة الكنيسة في العصور الوسطى تضيق حرية الفكر واحتكار العلم، فلقد عاش الإنسان في العصور الوسطى: عبداً للاعتبارات الدينية وأسيراً للأوضاع السياسية، ومن هنا كان الحد من حرية النظر العقلي عنده فالبحت محرم في موضوعات محددة، وفي غيرها قد يكون الناس على اعتناق آراء بعينها فإن تجاوزوها ضلوا سبيلاً وساءوا مصيراً.<sup>(٢)</sup>

وهو ما أدى إلى تحكم الكنيسة حتى في العلوم الدنيوية فأصبح لا

(١) الكنيسة أو مملكة المسيح ص ٤٦ وعمر فروخ أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة

الأوربية ط: الثانية بيروت ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ص ٤، ٥ وما بعدها

(٢) قصة الصراع بين الدين والفلسفة د/ توفيق الطويل ص ٩١، ٩٤ بتصرف كبير ط،

دار الآداب الجواميز

يستطيع أي شخص أن يبتكر شيئاً أو ينظر في علم من العلوم وإلا حكم عليه بالهرطقة والحرمان والطرْد ولم يقتصر الأمر على اللعن والحرمان والطرْد، بل زاد نفوذ الكنيسة فاستخدمت العقاب الديني ضد كل من يخرج على تعاليمها وسلطانها. يقول الدكتور/ توفيق الطويل: ونظراً لأن الكنيسة تحتكر العلم وتهيمن على شؤنه فسارت الجامعات في ركابها وأخذت تتلقى الأوامر والتعليمات من رجالها... وأصبح أساتذة الجامعات لا يعنون بالحقيقة من حيث هي وليدة نظر عقلي سليم أو اختبار تجريبي مؤكد بقدر ما يعنون بالاستجابة لطاعة الكنيسة واعتناق ما تفرق من آراء.<sup>(١)</sup>

وهو ما قضى على العقل والعلم وجعل الناس يعيشون في غياهب الظلمات ودياجر الجهل، ولم تقف الكنيسة عند هذا الحد من الطغيان حتى طالبت بالحكم على من يخرج عن سلطانها بعقوبة الإعدام وأبى التسليم بغير السجن على أكثر تقدير ثم اتفق البابا لوكيوس الثالث، وفرديريك بربروسا ١١٨٤م على مطاردة الملحدين ونفيهم ومصادرة أملاكهم وهدم بيوتهم وسلب حقوقهم المدينة ثم أصدر بطرس الثاني ١١٩٧م قراراً بإحراق الملحدين إذ لم يغادروا مملكته- أراجون- في مدة محددة، وقوى البابا أتوسنت الثالث حركة الاضطهاد فنجح في عام ١١٩٨م في حشد الأمراء الدينيين لمعاونة الكنيسة في التتكيل بخصومها وأقر محاكم التفتيش عام ١٢٠٨م.<sup>(٢)</sup>

إذن لم يقتصر الأمر على الطرد والحرمان حتى تطور إلى الإعدام والحرق وهدم البيوت ثم ما لبث أن تحول إلى محاكم التفتيش والتي كان لها دور كبير في التتكيل بكل من تسول له نفسه أن يخرج عن طاعة الكنيسة وباباواتها وأساقفتها ومع ظهور محاكم التفتيش تم القضاء على أي عمل

(١) قصة الصراع بين الدين والفلسفة د/ توفيق الطويل ص ٩١، ٩٤ .

(٢) قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ٩٤ - ٩٥ .

عقلي أو علمي. لقد أنشأ البابا جرجوري التاسع محكمة التفتيش أو ديوان التحقيق عام ١٢٢٣م (ويمكن لهذا النظام أمر بابوي أصدره أتوسنت الرابع عام ١٢٥٣م وضبط به نظام الاضطهاد كجزء أساسي من الكيان الاجتماعي في كل مدينة أو دولة وكانت هذه أدلة لكبح التفكير الحر لم يعرف التاريخ لها نظيراً<sup>(١)</sup>).

ثم لم تكتف الكنيسة بذلك ففي القرن الثالث عشر نجد: (فردريك الثاني شرع القوانين التي تقضي بإهدار دم الملحين وإحراق غير المرتدين إلى الدين وسجن من تاب وعاد إلى اعتناق دينه، وإعدام من عاد فارتد ملحدًا ومصادرة أملاك الملحين ونسف بيوتهم)<sup>(٢)</sup>

واشتد طغيان الكنيسة ورجال اللاهوت فاتخذت كل الوسائل لمطاردة الخارجين - على حد زعمها- ووصل الأمر بهذه المحاكم أن قرر مجمع "لاتران" أن يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس الاعتراف الواجب أدائه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في الكنيسة حكمت هذه المحاكم منذ نشأتها سنة ١٤٨١ - ١٨٠٨م على ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياء<sup>(٣)</sup>.

لقد تجاوزت الكنيسة الحد في تسلطها وطغيانها وإمساها بمقاليد رعيته وهذا أمر طبيعي بعد أن تركت مسيحية المسيح واتبعت مسيحية بولس ومسيحية الرومان الوثنية كما حدث في مجمع نيقية ٣٢٥م يقول برنتن: (إن المسيحية الظاهرة في مجمع نيقية وهي العقيدة الرسمية في أعظم إمبراطورية

(١) قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠.

(٣) الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه د/ محمود عثمان ص ٤٥ ط، الأولى دار النشر مكتبة الانجلو الأمريكية .

في العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في الجليل، ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد للتعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعاً بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى ليس ذلك فحسب، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتاً<sup>(١)</sup>.

نعم لقد أحاطت الكنيسة الكاثوليكية نفسها بهالة من الغموض والسرية وأوحت للناس بأنها وحدها التي تعرف الأسرار المقدسة وأنها تمتلك حق الغفران.. وأن البابا هو مثل الله في الأرض، وأن ذاته مقدسة، كما أن كلماته تستحق التقديس الكامل، ونتيجة للجهل المتفشي في أوربا فقد أثرت هذه الإيحاءات في الشعب الكنسي تأثيراً كاملاً بحيث صار الجميع يخضعون في أقوالهم وأفعالهم خضوعاً ذليلاً للكنيسة بل ويحسبون أنهم بذلك يتقربون من ملكوت الله ويرضون الرب يسوع إله الكنيسة الكاثوليكية، والابن الوحيد لله كما يزعمون واتخذت الكنيسة من الأناجيل المحرفة والمصطبغة بصبغة الوثنية الرومانية تدعيم سلطاتها لتتحكم في رقاب رعيته كما تسميهم فأصبح المسيحي لا يصبح مسيحياً حقيقياً منذ طفولته إلا إذا عمّد عن طريق القسيس<sup>(٢)</sup>. والقسيس هو الذي يزوجه، وهو الذي يستمع لاعترافه بخطاياهم ويقبل توبته أو يطرده من رحمة الله بالحرمان الذي يملكه نيابة عن الله ومهما كان الإنسان تقياً أو صادقاً في حبه لله فإن صلاته لا تقبل إلا إذا تقدمه القسيس، والويل لمن مات وحرّم من قسيس يصلي عليه. وزاد طغيان الكنيسة فقال: (بأسرار المقدسة، والتثليث للأب والابن والروح القدس - والنخلة - وهو ادعاء يعطي لكبار رجال الدين المسيحي حق التحلل وعدم

(١) أفكار ورجال ص ٢٠٧ جرين برنتن ط، مصر ١٩٦٥م.

(٢) المسيحية أحمد شلبي ص ١٦٨ بتصرف كبير، ومحاضرات في النصرانية للشيخ

محمد أبو زهرة ص ٢٠٢



الالتزام بأوامر الدين الكنسي<sup>(١)</sup>.

ثم قالت بالعشاء الرباني وغير ذلك من أجل تدعيم سلطتها والنصوص المحرفة حتى ادعت - أي الكنيسة - أنها وحدها التي تعرف حقيقة هذه الأسرار وأنها وحدها التي تملك حق تعريفها للغير ولو حاول أحد من الناس أن يفهم أو يعرف فأنها تنهره وتتهمه بالمروق عن المسيحية وتلجأ إلى وصفه بأفطع الصفات ومنها الكفر والهرطقة، ولكي يكون المسيحي حقيقياً في مسيحيته عليه أن يعطل عقله ويتقبل كل الأسرار كما هي دون أي محاولة للتساؤل أو الارتياب وإلا استحق اللعنة الأبدية ولم تقف الكنيسة عند هذا الحد من الطغيان بل أقحمت نفسها في مجال التفسيرات الكونية.

### موقف الكنيسة من التفسيرات الكونية وعلوم الدنيا.

كما أحكمت الكنيسة قبضتها في مجال العقيدة والشريعة وعلاقة الفرد بربه، وعلاقته بالإنجيل وتفسيراته وأعطت لنفسها ما ذكرته، أثبت إلا وأن تحكم سيطرتها على كل شيء حتى العلوم الكونية فطاردت كل من يقدم تفسيراً يخالف ما تقول هي به، وطاردت العلماء ونكلت بهم وأنشأت محاكم التفتيش، فقابلت الكنيسة كتاب كوبر نيكس - الذي فتح الأعين على نظرة علمية إلى الكون كله - مؤداها: (أن الأرض ليست مركز الكون، بعنت شديد فأجمعت شعاب الكنيسة على تحريمه ومنع تعليمه فقد كانوا يحتّمون على العلم أن يجزم بمقام الأرض في مركز الفلك، وكانوا يحتّمون أن تجمد الأرض هنالك لتتحقق الحكمة من خلق الأحياء على التعميم، وخلق الإنسان على التخصيص وقد كانوا يشترطون للإيمان بالقصد والتدبير في خلق الحياة على الأرض أن تكون الأرض مميزة على هذا الشرط إلا إذا قامت في مركز الكون كله، وكانت الكواكب والشموس دائرة أو ثابتة من حولها وقد كان قيام الأرض في مركز الكون في نظرهم هو الدليل الوحيد على حكمة

(١) محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة ص ٢٠٢ بتصرف يسير.

القصد والتدبير. (١)

(عندما خرج كوبر نيكوس على هذا الرأي رأى الكنيسة وقال بأن الأرض كروية تعرض للعذاب الشديد من رجال الكنيسة وهموا بإعدامه إلا أن منيته وافته فأحرقوا كتبه وأعلن برونو بعد ذلك ما قال كوبر نيكوس فكان جزاؤه بعد التعذيب الحرق حيًّا). (٢).

وحتى مما قصده - كرسيتوف كولومبس - من محاولة اكتشاف أرض جديدة عن طريق المحيط الأطلنطي: (أقام الكنيسة وأقعدتها وقتاً طويلاً فبحثت في الأمر وقرر مجمع سلامانك: أن هذا مخالف لأصول الدين، وأعيد البحث في الأمر بعناية، ولم يغير ذلك شيئاً هذا كله لأن كولومبس قال: إن الذي أوحى إليه بذلك هو كتب "ابن رشد" واضطهد وحوكم جاليليو لأنه قال إن حركة الكواكب هي على النظام المعروف عند الفلكيين اليوم) (٣).

وكان جزاء جاليليو أن قبضت عليه الكنيسة وعرضته لألوان متعددة من العذاب وقبل أن تنفذ فيه حكم الإعدام كان هو أذكى إذ أعلن في الظاهر رجوعه عما يقول وأنه يعلن توبته وعودته لما تقول به الكنيسة فاضطروا للإفراج عنه يقول ويلز: (ولم يقتصر تعقيب الكنيسة على هذه الأمور الدينية وحدها فإن الشيوخ الحصفاء المولعين بالأبهة السريعي الهياج الحقوديين الذين من الجلي أنهم كانوا الأغلبية المتسلطة في مجالس الكنيسة كانوا يضيقون ذرعاً بأية معرفة) (٤).

---

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين أ. / عباس العقاد ص ٣٢ : ٣٧ بتصرف واختصار دار المعارف.

(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة د/ توفيق الطويل ص ١٥٧.

(٣) قصة النزاع بين الدين والفلسفة د/ توفيق الطويل ص ١١٠.

(٤) معالم تاريخ الإنسانية ج ٣ ص ١٠٥ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وانظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوي ص ١٥٧ وما بعدها مكتبة الإيمان.

وقاومت الكنيسة الجمعيات العلمية والكتب فأحرق الكاردينال أكيميتس ثمانية ألف كتاب في غرناطة وهكذا نجد أن الكنيسة سيطرت على التعليم في المدارس واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس وأدانت كل من جاهر بحقيقة لم تقرها الكنيسة من قبل وسلم بسياستها في اضطهاد مخالفها الملوك والأباطرة ومن لم يذعن لها يعد كافراً وهرطقة- بدعة- يعاقب المجترئ عليها بأنواع التعذيب والقتل<sup>(١)</sup>

وبعد كل ما ذكرته وهو قليل من كثير مما ذخرت به كتب المؤرخين والمفكرين لهذه الحقبة التاريخية وما وصفوه من فظائع محاكم التفتيش وألوان وصنوف العذاب التي أقدم آباء الكنائس على فعلها وما جاء في وصف صنوف العذاب التي يشيب الولدان من هولها، وكل ذلك باسم الدين وبأوامر رجال الدين بحجة الحفاظ على الدين والالتزام به، فهل يا ترى التزم رجال الدين أنفسهم وكانوا يعيشون حياة الرهبان والمتسكين والعباد أم أن الفساد الكنسي تجاوز الحد فكانوا كما أخبر القرآن الكريم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: فساد أخلاق رجال الكنيسة.

لم تكف الكنيسة بالتسلط على أرواح الناس وعقولهم بل ذهبت تدعو الشعب الكنسي إلى الشطف والخشونة، والتمسك بالفقر وتبين لهم أن من أراد ملكوت الله فخير الشعير، والنوم في المزابل مع الكلاب كثير عليه، وأن مرور الجمل من سم الخياط أيسر من دخول غني ملكوت الرب، والدعوة في حد ذاتها مقبولة لكن بشرط أن تلتزم الكنيسة فهل فعلت؟

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة د/ توفيق الطويل ص ١٠.

(٢) سورة البقرة آية ٤٥.

يقول كريسون (كانت الفضائل المسيحية كالفقر والتواضع والصوم والورع والرحمة كل ذلك خيراً للمؤمنين والقسيسين، أما أساقفة البلاط، والشخصيات الكهنوتية الكبيرة فقد كان لهم شيء آخر، البذخ والأحاديث المتأنقة مع النساء، والشهرة في المجالس الخاصة والعطلات والخدم، والأرباح الجسيمة والموارد والمناصب).<sup>(١)</sup>

ويصف ويل ديورانت رجال الكنيسة آنذاك فيقول: (كانت أملاكها الزمنية، وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يجلب بالعار كل مسيحي متمسك بدينه، وسخرية تلوكها السنة الخارجين على الدين ومصدراً للجدل العنيف بين الأباطرة والباباوات وبهذا أصبحت الكنيسة جزء لا يتجزأ من نظام الإقطاع).<sup>(٢)</sup>

وزاد ولع الكنيسة بالمال فأخذت تستولي على الأراضي الزراعية الشاسعة وتجعلها وقفاً لها، كما قامت بفرض ضرائب على الشعب الكنسي تجبي لحسابها منها ضريبة العشر أي عشر الدخل وضريبة السنة الأولى لحسابها، كما ألزمت العمال أن يقوموا بعمل يوم في كل أسبوع في أراضيها بالمجان.

ولم ينته الأمر بما ذكرت من إقطاع وأموال وهبات ووقف وضرائب فأصبح رجال الكنيسة يعيشون في الترف ويبحثون عن وسائل أخرى لجمع المال ففكروا في طريق وحيلة جديدة تدر عليهم مالاً أكثر ألا وهي صكوك الغفران.

---

(١) المشكلة الأخلاقية د/ زكريا ابراهيم ص ١٦٧ ط مكتبة مصر ضمن سلسلة مشكلات فلسفية العدد ٦، وراجع المشكلة الأخلاقية والفلسفة لأندرية كريسون د/ عبد الحليم محمود ط، دار الرشد

(٢) قصة الحضارة ويل ديورانت ١٤/٢٦٤ ط، الدجوى ١٩٧٥.

### غفران الذنوب - صكوك الغفران -.

وكانت هذه وسيلة جديدة لجمع المال فمن المعلوم أن غفران الذنوب يأتي عن طريق التوبة بين العبد المعترف بذنبه إلى ربه ولكن رجال الكنيسة جعلوا الأمر بأيديهم.

يقول الدكتور أحمد شلبي: (أما غفران الذنوب فقد أصبح بدعة عجيبة ، فإذا أراد البابا أن يبني كنيسة أو يجمع مالاً لشيء ما طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب وبالصك فراغ ليكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه، والعجيب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ما تقدم من الذنوب وما تأخر فهو بعبارة أخرى إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضمنت الجنة لهذا المحظوظ).<sup>(١)</sup>

وبهذا تكون الكنيسة قد أعطت لنفسها في المجمع الثاني عشر حق غفران الذنوب مدعية أن يسوع المسيح قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات، وذهبت إلى القول بحرمان من يزعم أن الغفرانات غير مقبولة أو ينكر على الكنيسة هذا الحق وقد استغلت الكنيسة حق الغفران استغلالاً سيئاً من أجل جمع المال والتسلط على أرواح الناس ومعلوم أن هذه الصكوك دعوة للتسيب والخروج على القيم النبيلة فلاى إنسان أن يرتكب من الذنوب طالما أنه يمتلك القدرة على شراء صك غفراني يزيل به كل خطاياه ما تقدم منها وما تأخر ويضمن به دخول الجنة.

وبعد كل ما ذكرته وهو غيظ من فيض مما ذخرت به كتب المؤرخين والمفكرين لهذه الحقبة الزمنية والتي وضحت فيها ما كانت عليه الكنيسة من طغيان كنسي وفساد أخلاقي لرجالها ومؤسساتها الكنسية وما ترتب على ذلك

(١) المسيحية د/ أحمد شلبي ص ٢١٣، ٢١٤ وراجع: الخطر الشيوعي في بلاد الإسلام

د/ محمد شامه من ٢٠ - ٢١ ط مكتبة شامه ط الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

من حجر على العقول ومنح للعلماء والمفكرين من البحث العلمي حتى في الأمور الدنيوية والحياتية بل أمسكت كل المقاليد في يدها وحكمت بالطرد والحرمان والحرق والإعدام وهدم البيوت، بل وأقامت لهم محاكم التفتيش وبهذا كما يقول ويلز: (وبهذه الأداة - محاكم التفتيش - نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والعذاب، وشهد القرن الثالث عشر كبار رجال الكنيسة يقفون في مائة ساحة من ساحات الأسواق في أوربا ليراقبوا أجسام أعدائهم تحترق بالنار وتخد أنفاسهم بحالة محزنة)<sup>(١)</sup>

لقد راحت الكنيسة تبحث عن كل ما هو مخالف لها ليس في الدين فحسب وإنما في العلم والاجتهاد في الفهم والتفسيرات الكونية وأمور الحياة العامة كما يقول الإمام أبو زهرة: (بل أخذت تنقب عن القلوب وتسكن خبايا النفوس وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ محاكم التفتيش التي دنست تاريخ الأديان بما ارتكبت من آثام وما سفكت من دماء)<sup>(٢)</sup>. وهو ما عجل بظهور حركة الإصلاح أو نبذ الدين المسيحي ورفضه والكفر كما سيتضح في المبحث التالي.

(١) معالم تاريخ الإنسانية ويلز ٨/ ٩٠.

(٢) محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة ص ١٩٨.

### المبحث الثالث

#### حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة الأوروبية.

بعد ما ذكرته من حال العصور الوسطى من حجرٍ وتقيدٍ على عقول المفكرين والعلماء واستبداد الكنيسة ورجالها دينياً ودنيوياً وإمساك كل أمور الدين والدنيا في يدها كما سبق وأن ذكرت حتى ضاق الناس ذرعاً من ذلك وكانت النتيجة الحتمية لذلك هي الجهل والفساد والفقر والتخلف والطبقية البغيضة ناهيك عن فساد رجال الدين كما تم ذكره، كل ذلك وغيره كان ينذر بخروج الكنيسة من المعادلة، وفقد سيطرتها نظراً لتغولها الذي لم يقف عند حد وتطلعها إلى بسط نفوذها أكثر وأكثر، فظهرت البروتستانتية والتي دعت إلى إصلاح الكنيسة فكان مارتن لوثر وكان ظهوره في ألمانيا وكان لوثر عالماً باللاهوت ولذلك نجد أنه تجمع له ما لم يتجمع لسواه فحركته نابعة من قلبه، وكان لوثر بالإضافة إلى دراسته للاهوت شديد الورع، يحصى على نفسه سيئاتها، ويبالغ في تقديرها، وتضطرب نفسه خوفاً منها، وحج إلى روما رجاء أن يزيده قربه من الأماكن المقدسة صلاحاً ويبعده عن السيئات، ولكنه وجد هناك ما يزعجه؛ فإن هذه الذنوب التي أثقلت عليه يستطيع الكاهن أن يعفيه منها بصك يشتريه يا الله كيف هذا؟! (١).

كانت الصدمة لرجل الدين مارتن لوثر أن يرى هذا في معقل المسيحية التي ذهب ليحج إليها، ورأى لوثر (كذلك في روما ما قلل مكانة رجال الدين عنده وعاد إلى ألمانيا فلاحقته صكوك الغفران إذ كان البابا لو (يريد أن يعيد بناء كنيسة بطرس واحتاج للمال فقرّر أن يحصل عليه من بيع هذه الصكوك، فأرسل أحد حامليها فيمن أرسل إلى ألمانيا، فثار لوثر لذلك، وكتب احتجاجاً علّقه على باب الكنيسة، فطلبته الكنيسة لمحاكمته أمام محاكم التفتيش فلم

(١) المسيحية أحمد شلبي ص ٢١٧ بتصرف واختصار.

يذعن فأصدرت قراراً بحرمانه، وتبعاً لذلك أصدر الإمبراطور قراراً بحرمانه من الحقوق المدنية والقانونية، ومعنى ذلك أنه أصبح مباح الدم، فقد كل ما يملك، ولكن أحد الأمراء حماه<sup>(١)</sup>.

ومن هنا بدأ التمرد على الكنيسة و الدعوة إلى الإصلاح فصادت دعوة لوثر في القرن السادس عشر نجاحاً (واعتنقها كثير من المصلحين الذين ساروا في طريق لوثر فأنكروا حق الغفران والاستحالة، ووقف فهم الكتاب المقدس على الكنيسة وما شابه ذلك)<sup>(٢)</sup>.

### ضعف نتائج الحركة الإصلاحية.

بقيت الكنيسة في واد ، ودعوة الإصلاح في واد آخر إلا أن الكنيسة بدأت تفقد نفوذها أمام هذه الحركة الإصلاحية لاسيما بعدما زاد طغيان الكنيسة ونفوذها، و فسادها الأخلاقي فعجزت عن القضاء على هذه الحركات ولكن (هذه الحركات أيضاً عجزت عن تحويل تفكير الكنيسة، وكانت نتيجة ذلك أن أنشأت الحركة الجديدة كنائس لأتباعها سميت الكنائس البروتستانتية)<sup>(٣)</sup>.

وبذلك بدأ الخروج على الكنيسة وفقدت قبضتها فجاءت مبادئ الكنيسة البروتستانتية بمبادئ جديدة من أهمها:

- ١- (جعل الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمسيحية، ورد كل الأحكام التي لم ترد فيه كذلك التي تستند إلى رأي الباباوات، أو إلى العلم الخاص الذي قيل إنهم يتوارثونه الواحد عن الآخر.
- ٢ - من حق كل مسيحي قادر أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره.

(١) المسيحية أحمد شلبي ص ٢١٧ بتصرف يسير.

(٢) المسيحية د/أحمد شلبي ص ٢١٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٧.



٣- ليست لكنائس البروتستانتية رئاسة عامة فلكل كنيسة رياستها وعمل الرئاسة هو الإرشاد وتوجيه من لا يستطيع أن يستقل وحده بفهم الكتاب المقدس.

٤- ليس للكنيسة حق غفران السيئات.

٥- ترجمة الكتاب المقدس للغات المختلفة حتى يقرأه الناس على اختلاف لغاتهم، وحتى تكون صلاتهم ودعاؤهم بلغة يعرفونها.

٦- لا علاقة للعشاء الرباني بجسم المسيح ودمه وليس هو إلا للذكرى.

٧- عدم الاعتراف بضرورة الرهينة، وإباحة الزواج لرجال الدين.

٨- عدم اتخاذ الصور و التماثيل في الكنائس، وعدم السجود لها فذلك للوثنية أقرب<sup>(١)</sup>.

كانت هذه هي أهم عناصر الإصلاح البروتستانتي، وهي محاولة جادة على طريق الإصلاح الكنسي، وإن كانت هذه المحاولة لم تؤت أكلها كما ينبغي، إلا أنها محاولة ولذلك يرى كثير من الباحثين أن هذه الحركة نجحت، ومن دلائل نجاحها بقاؤها وكثرة أتباعها وانتشارها في عدة أقطار بخلاف الحركات الإصلاحية التي سبقتها ولم يكتب لها البقاء والاستمرار ففشلت واندثرت مثل حركة "أريوس" " ونسطوري" أما حركة لوثر فقد ساعدها الزمن الذي كان قد تطور وحنق الناس على الكنيسة ورجالها والحرية التي كانت تلوح في الأفق.

ولكن هذه الحركة لم تحقق الغاية المنشودة في الإصلاح:-

أولاً: لأنها لم تستطع تقويم الكنائس التي كانت قائمة، ولم تفلح في التغلب على البابا وأفكاره وأتباعه، بل اكتفت بإنشاء كنائس لها تظهر فيها مبادئ الإصلاح التي اعتنقتها، وبقيت آلاف الكنائس الأخرى التي كانت

(١) المسيحية د/ أحمد شلبي ص ٢١٨.

تحت سيطرة البابا على حالها.

الأمر الثاني: لم تعتمد حركة الإصلاح إلى إصلاح المسيحية ، وإنما كانت إصلاحاً للكنيسة، ولم يبحث لوثر ورفاقه في الأشياء التي دخلت المسيحية وأدوات التحريف، بل بحث عن إصلاح الكنيسة ورجالها، وبذلك يكون لا إصلاح لأن لوثر اعتنق المسيحية كما هي من الأجيال السابقة بكل ما تحمله من وثنية وتحريف، ولم تكن الثورة على ما ابتدئته الكنيسة في عصورها المتأخرة مثل التثليث، وقضية الصلب، والأنجيل المحرفة، وسلطة المجامع في اتخاذ قرارات تتعلق بأسس الدين، وكان من الواجب أن تبدأ حركة الإصلاح من هنا .

لكن ثورة لوثر كانت شكلية الكنيسة ورجالها كغفران السيئات والاستحالة وحق تفسير الكتاب المقدس والتشريعات غير المكتوبة التي يتوارثها الباباوات. وبهذا يكون نجاح حركة لوثر محدوداً ومحدوداً للغاية، ومع ذلك رأت الكنيسة الكاثوليكية أن: (لوثر من أصحاب البدع والأضاليل وأنه هو وأمثاله زاغوا عن طريق الإيمان).<sup>(١)</sup>

### عوامل قيام عصر النهضة الفكرية في أوروبا.

من الواضح مما سبق أن حركة الإصلاح لم تؤت ثمارها؛ لأنها كما سبق وأن ذكرت لم تعمل على إصلاح الدين من الوثنيات التي لحقت به، وإنما قصرت هدفها على إصلاح رجال الدين، وكانت النتيجة كما ذكرت، ولكن على كل كانت بذرة من بذور الإصلاح أو إن صح التعبير الوقوف في وجه الطغيان الكنسي، وفتحت الطريق بعض الشيء فبدأت تتحرر أوروبا من هذا الليل المظلم وكانت بعد ذلك عوامل أدت إلى قيام ما يسمى بعصر

(١) شرح رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ص ١٠، ١١ د/ الخوري جرجس فرح وانظر ص ٦٧ نفس المرجع منشورات المعهد - المعادي.

النهضة في أوروبا من هذه العوامل:

١- ظهور بعض المفكرين الثائرين على تعاليم الكنيسة بعد دعوة "مارتن لوثر" ظهر بعض المفكرين في أوروبا طلبوا بالتعاون المباشر مع الطبيعة بالعقل والتجربة، والأخذ بالأسباب كاملة والتخلي عن الكنيسة ودينها ومنطق أرسطو الذي سيطر على العقل البشري من أمثال "روجر بيكون"، ليوناردو دا فنشي " وفرنسيس بيكون" وهؤلاء رأوا ضرورة الاعتماد على العقل والتجربة، والتخلص من الأوهام التي تكبل حركة العقل، بل التأثير بروح الإسلام العلمية وضرورة التأكد من أقوال رجال الكنيسة بالعقل، فإن صدق العقل ما يقولون عمل به وإلا طُرح جانباً.

وبذلك أستطيع أن أؤكد الحقيقة التي اعترف بها المنصفون من الغرب وهي أن أهم العوامل التي ساعدت في نهضة الغرب هو الإسلام عن طريق الحركة العلمية الفلسفية، وعندما نقول فلسفية أي أنها عقلية، وعندما نقول عقلية يلزمنا القول بأن الإسلام كدين لم يحجر على العقل، بل زكاه، ورفع قدره وجعله مناط التكليف، وأطلق له العنان ليخلق في عالم الطبيعة وفي ما وراء الطبيعة، ولم يحجر عليه، ولذلك كانت الحركة العلمية الفلسفية عن طريق اتصال الغرب بالمسلمين والتي جاءت نتيجة لترجمة علوم المسلمين إلى اللغة اللاتينية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، كما كان هناك في القرن الثاني عشر أيضاً جهود مبكرة لترجمة الكتب العربية في الفلسفة والعلوم.

"وكان لرئيس أساقفة طليطلة وغيره الفضل في إخراج ترجمات بعض الكتب العلمية العربية بعد الاقتناع بأن العرب يملكون مفاتيح من تراث الكلاسيكيين"<sup>(١)</sup>. وهذا النص نضعه في وجه الذين يسمون أنفسهم بالتنويريين

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/ محمود حمدي زقزوق ص ٣٠-

٣١ بتصرف يسير دار المنار ط٢ ١٩٨٩م

من العرب ويدعون إلى تنوير غربي، ونقول لهم إن الغرب التمس العلم عند المسلمين الأوائل المتمسكين بدينهم؛ لأن دينهم هو الذي جعلهم حملة مشاعل العلم والحضارة ولو كان الدين عائقاً للعلم والحضارة كما يزعمون فليظنوا في كتاب بناء الإنسانية لبريفولت كما ينقل عنه د/ زقزوق: "لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوربا الحياة بل هناك مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا إنه يدين لها بوجود نفسه"<sup>(١)</sup>.

وقد شملت النهضة الأوروبية مظاهراً تجلت في:

### ١- النهضة الأدبية.

وكانت هذه النهضة ثورة عنيفة قصدت تحرير الحياة مما أصابها إبان العصور الوسطى المظلمة من عقم وجمود، وأرادت أن "تهض بالعقل من عثراته، وأن تتفخ فيه روح الحرية والحياة والنشاط، فالتمست له غذاء في آداب اليونان والرومان، وانكبّ الناس عليها انكباً واستوعبوها دراسة وبحناً".

### ٢- النزعة الإنسانية.

الحركة الثانية من مظاهر عصر النهضة الأوربي هي النزعة الإنسانية وهي الحركة التي كان لها أكبر الأثر في رفض الدين جملةً وتفصيلاً، وقد

---

(١) دراسات في الفلسفة الحديثة د/ محمود حمدي زقزوق ص ١٦ ط، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٥م.

استمدت هذه الحركة الثقافية الجيدة اسمها من حقيقة الاهتمام بالإنسان في عصر النهضة" وبينما كان تأثير النهضة تأثيراً مباشراً في النظرة العامة إلى الحياة اقتصر مجال الحركة الإنسانية على المفكرين والباحثين، وقد انتقلت حركة النهضة تدريجياً نحو الشمال إلى ألمانيا وفرنسا وهولندا فظهر في هذه البلاد باحثون إنسانيون عظام بعد مرور قرن من الزمان على ظهور أسلافهم الإيطاليين... وسميت الآداب القديمة بالإنسانيات لأنها تهتم بالإنسان... ويمكن القول بوجه عام أن جهود الباحثين الإنسانيين قد مهدت الطريق للتطورات الفلسفية الكبرى التي حدثت في القرن السابع عشر<sup>(١)</sup>.

وقد بلغت حركة النزعة الإنسانية أوجها في القرن الثامن عشر على يد الفيلسوف فولتير الذي وجه النقد اللاذع لمعتقدات الكنسية ورجالها قائلاً: "إن المسيح لم يقل قط: لقد جئت وسأموت كي أجتث المعصية الأصلية، وأن جوهرى وجوهر الله واحد، وأن لي طبيعتين وإرادتين، ولست إلا شخصاً واحداً لست أباً، لكني والأب شيئاً واحداً، فأنا هو ولست هو كل الكون صائر إلى الهلاك الأبدي، وأمي معه لكن أُمي أم الله"<sup>(٢)</sup>.

وهذه والله قمة السخرية في الأفكار الكنسية التي قام بها "بابل" و"فولتير" واسبينوزا وغيرهم وتولد عن هذه الأفكار اتجاهات تصحيحية عدة تأخذ تارة بالعقل وتعتبره كل شيء ولا معرفة إلا من طريقه، وتارة أخرى تأخذ بالحس والتجربة وفي كلا الاتجاهين كان الخصام بين الدين والعلم، وبين الدين والعقل.

(١) حكمة الغرب: برتراند راسل ترجمة د/ فؤاد زكريا ج ٢ سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨٣م ص ٢٧، ٢٨ بتصرف واختصار.

(٢) تيارات الفكر الفلسفي أندريه كريسون ص ١٤١ بتصرف واختصار ط، عديدات بيروت.

### ٣- نشأة العلوم الطبيعية.

سبق وأن أشرت إلى تسلط الكنيسة على العلوم الكونية أو ما يسمى بالعلوم الطبيعية، لكن كان من مظاهر النهضة الأوروبية حركة العلوم الطبيعية فاتجه البحث إلى دراسة الظواهر الطبيعية عن طريق التجربة العلمية وكان من أهم التطورات العلمية التي شاهدها هذا العصر:

- ١- اكتشاف نظرية مركز الشمس على يد كوبر نيكس ١٤٧٣-١٥٤٣م
  - ٢- اكتشاف قوانين حركة الكواكب على يد "كلير" ١٥٧١-١٦٣٠م.
  - ٣- اكتشاف قوانين سقوط الأجسام على يد جاليليو ١٥٦٤-١٦٤٢م.
- علماً بأن هذه الاكتشافات الجديدة أثارت حفيظة الكنيسة كما سبق وأن أشرت لكن كان لهذه الاكتشافات الجديدة- والتي تخالف عقيدة الكنيسة- الفضل في توجيه العقل وجهة جديدة حتى وإن لاقى العلماء العنت والإرهاب والطرده والحرمان من الكنيسة ورجالها.

إلا أن هذه التطورات الجديدة كانت أكبر عون للإنسان على التخلص من سيطرة الكنيسة لاسيما بعد اختراع المطبعة، واستخدام البوصلة، كل هذا أدى إلى أن يصبح الأساس الجديد للبحث يعتمد على التجربة والملاحظة وقد ترتب على ذلك حدوث نزاع بين الدين الذي يأمر بالتسليم، والفلسفة التي لم تقتنع إلا بالتجربة، وقد حسم هذا النزاع في نهاية الأمر بتوزيع الاختصاصات بين كل من الدين والفلسفة، فأصبح الدين مقتصرًا على الأمور الغيبية وشؤون اليوم الآخر غير المحسوس، وقد قصرت الفلسفة جهودها على الطبيعة وحدها<sup>(١)</sup>.

وبذلك يعتبر عصر النهضة- إن صح التعبير- ثورة على روح العصر الوسيط حيث أصبح النظر إلى الإنسان وتمثل هذا الإحساس في أن الإنسان

(١) دراسات في الفلسفة الحديثة د/ زقزوق ص ٢٤.

قادر على توجيه نفسه، وليس في حاجة إلى سلطة خارجية. هذا العصر تستطيع القول أن الثقة بالعقل احتوته، واشتد كلفه بالعلم واحترامه لرجاله، وأحب الجمال وشغف بالطبيعة، وولع بالاستمتاع بملاذ الحياة ومن ثم "توافر الفن على محاكاة الأوضاع الجسمانية وتمكن العلم من ملاحظة الظواهر الطبيعية، وقوى النزاع إلى تبرير الشهوات، ونبذ العقائد التحكيمية المتعسفة، والخروج على التقاليد المألوفة، والمبادئ المرعية، واتسعت هوة الخلاف بين النزعة الصوفية في العصر الوسيط، والاتجاه العقلي في عصر النهضة" (١)

وانطلق الغرب من عقاله بعد ليل طويل، وأبصر النور فجأة فتمرد عصر النهضة على تقييد الحرية في مجال الأخلاق والآداب وميادين العلم والفن والفلسفة جميعاً التي كانت موجودة في العصر الوسيط فتلاشت (قيود الآداب والنظام وانطلقت الشهوات من عقالها، وتفشى الفساد حتى استغرق العصر كله، وأصبح البرء منه شذوذاً لا يستقيم مع أوضاع العرف، وكان أفدح خسران لحق بهذا العصر فقدان الإيمان والتحرر من قيود الأخلاق، ومشاركة رجال الدين في هذا الفساد مما أدى إلى التهمج عليهم، والتشهير بأنامهم، ساهم في هذا التجريح رجال الإصلاح الديني، وأسرفوا فيه حتى تحول مبدأهم في إقرار حق الفرد في إصدار ما يرى من أحكام إلى عصيان روما في كل ما ترى واستخف الناس بالروح المسيحي ودعائه حتى انطمس ذكر "دانتي" شاعر المسيحية العظيم وروما وفلورنسا في نفس الوقت الذي أقبل فيه طلاب العلم على "أفلاطون" و"شيشرون" و"هوميروس" " فرجيل" فكان هذا العصر بحق ثورة على المسيحية وتقاليدها" من الاتجاه من التحرر من اللاهوت مثله كثير من الفلاسفة الغربيين مثل "مونتاني" في النصف الثاني من القرن السادس عشر وغيره.

(١) قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ١٦٠، ١٦١ بتصرف يسير..

وهكذا نجد عصر النهضة نتيجة للنزعة الإنسانية الفردية انتهت إلى:

- ١- الثقة بالعقل الفردي.
  - ٢- مزاولة الفحص الحر بالنسبة للعقائد المسيحية.
  - ٣- الفهم الخاص للكتاب المقدس.
  - ٤- انزلاق العقول من البدع في الدين إلى المذهب الطبيعي الذي يقيم الإيمان بالله على حجج عقلية فانتهى به الأمر إلى الإلحاد في الدين، والشك في العقل فانهارت أسس الأخلاق.
- هذه هي الظروف والملابسات التي أدت إلى ما يسمى بالتنوير الغربي أسهبت فيها كثيراً ليعلم القارئ أن المسيحية كدين والكنيسة كرجال سيطروا على كل شيء، ناهيك عن فسادهم مما أدى إلى تحلل الغرب فهل ما ينطبق على دين محرف وقسس متحكمين يجرى على الإسلام وعلمائه؟؟!



## المبحث الرابع

### بين تنوير وتنوير

وبعد ما ذكرت عن التنوير الغربي والذي وضحت أسبابه وملابساته نريد أن نبحث هل نحن مدعوون إلى تنوير غربي كالذي انتهجه الغرب كما يرى من يسمون أنفسهم بالتنويرين العرب، أم أن القضية تكمن في خصومتهم للإسلام فقط.

إن العقل الذي يحتكمون إليه يقضى أن ما ينسحب على دين لا ينسحب على آخر، وما ينسحب على مجتمع لا ينسحب على آخر، وإذا كنا قد بينا أن التنوير في الغرب كان له ظروفه وملابساته التي أدت إلى انفجار المجتمعات الغربية، ورفضها للدين الذي أعاقها، وقيد انطلاقها للبحث العلمي، وإن كنا لا نؤيد فكرة التخلي عن الدين كما حدث في الغرب؛ لأن المشكلة ليست في الدين ولا في التدين، ولكن المشكلة كانت في رجال الدين والقائمين عليه، ومن هنا تم الخروج على الدين ورفضه والتكر له.

والسؤال الذي نوجهه لدعاة التنوير العرب هل يريدون منا أن نرفض الدين ونتنكر له مثل الغرب بحجة أن الدين يقف عائقاً أمام العلم، والعقل، والتقدم؟ لقد سبق وقلنا إن ما يجري على دين لا يجري على آخر، وهل حقق الغرب ما كان يصبو إليه؟

إنني قبل أن أجيب على سؤال دعاة التنويرين العرب في دعوتهم إلى السير نحو سيرة الغرب من رفض الدين والتكر له. أجيب على السؤال الثاني. هل حقق الغرب ما كان يصبو إليه لقد اتجه الغرب عقب ثورته على الدين إلى المادية التي قضت عليه يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: تحت عنوان "تقصير الثائرين وعدم تثبتهم: " ولو لم يكن عند هؤلاء الثائرين من الصبر والمثابرة على الدراسة والتفكير، ومن الوداعة والهدوء، ومن العقل

والاجتهاد ما يميزون به بين الدين ورجالہ المحتكرين لزعامته، ويفرقون بين ما يرجع إلى الدين من عهدة ومسؤولية، وما يرجع إلى رجال الكنيسة من جمود وجهل واستبداد وسوء تمثيل، فلا ينبذوا الدين نبذ النواة ولكن الحفيظة وشنآن رجال الدين والاستعجال لم يسمح بالنظر في أمر الدين، والتريث في شأنه كغالب الثوار في أكثر الأعصار والأمصا<sup>(١)</sup>ر. وبعد تريثهم ومحاولة إصلاح الكنيسة ورجالها اتجه الغرب إلى المادية بكل معانيها وبكل ما تتضمنه هذه الكلمة من (عقيدة ووجهة نظر نفسية، وعقلية، وأخلاقية، واجتماع، وعلم، وآداب، وسياسة وحكم.... فقام علماء الفلسفة والعلوم الطبيعية ينظرون في الكون نظراً مؤسساً على أنه لا خالق ولا مدبر ولا أمر، وليس هناك قوة وراء الطبيعة والمادة تتصرف في هذا العالم وتحكم عليه، وتدبر شؤنه، وصاروا يفسرون هذا العالم الطبيعي، ويعللون ظواهره وآثاره بطريق ميكانيكي بحث وسموا هذا نظراً علمياً مجرداً، وسموا كل بحث وفكر يعتقد بوجود إله ويؤمن به طريقاً تقليدياً لا يقوم عندهم على أساس العلم والحكمة، واستهزأوا به واتخذوه سخرية، ثم انتهى بهم طريقهم الذي اختاروه وبحثهم ونظرهم إلى أن جحدوا كل شيء وراء الحركة والمادة، وأبوا الإيمان بكل ما لا يأتي تحت الحس والاختبار، ولا يدخل تحت الوزن والعدد والمساحة فأصبح بحكم الطبيعة وبطريق اللزوم - الإيمان بالله وبما وراء الطبيعة من قبيل المفروضات التي لا يؤيدها العقل ولا يشهد بها العلم<sup>(٢)</sup>).

لقد انطلقت المادية الراضة للدين والتدين في الغرب في ثورة عنيفة على كل أشكال التدين بعد هذه القرون المظلمة التي عاشها الغرب يروح

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي ص ١٥٨ ط مكتبة الإيمان.

(٢) ماذا خسر العام بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي ص ١٥٩ بتصرف يسير.

تحت نيران وبطش وفسوق رجال اللاهوت وتحكمهم وسيطرتهم وظلمهم وطغيانهم، فظهرت حركات الإصلاح في البداية كما ذكرت ثم أعقبها حركات التنكر لكل ما يمت إلى الدين بنسب يقول الدكتور/ البهي: "وبحركة لوثر كالفن الإصلاحية تعرضت المسيحية للجدل الفكري، وأصبحت موضوعاً للنقاش العقلي، والمذاهب الفلسفية... منهم من أنكر من الفلاسفة على الدين أن تكون له سلطة، أو أنكر سلطة البابوية، ومن وضع العلاقة بين الدين والعقل كشيئين متقابلين أو متناقضين"<sup>(١)</sup>.

### طابع المرحلة التي أعقبت الطغيان الكنسي:

تميزت هذه المرحلة بالآتي:-

- ١- نمو شعور العقل وإحساسه بنفسه، وبقدرته على أن يأخذ مصير مستقبل الإنسانية في يده، بعد أن يزيل كل عبودية ورثها من قبل وهي عبودية الكنيسة وتعاليمها حتى لا تحجبه عن التخطيط الواضح لهذا المصير.
  - ٢- الشجاعة والجرأة التي لا تتأرجح في إخضاع كل حدث تاريخي لامتحان العقل، وكذلك في تكوين الدولة، والجماعة، والاقتصاد، والقانون والدين، والتربية، تكويناً جديداً على الأسس السليمة المصفاة.
  - ٣- الإيمان بتعاون جميع المصالح والمنافع وبالإخوة في الإنسانية على أساس من هذه الثقافة العقلية وحدها المستمرة في التزايد والنمو فللطفل في نظر أصحاب عصر التنوير الحق في الإشراف على كل اتجاهات الحياة، والإنسانية هي هدف الحياة للجميع، وليس الله أو المجتمع الخاص أو الدولة الخاصة.
- وكما يسمى هذا العصر: عصر التنوير" يسمى أيضاً "العصر الإنساني

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٢٥٠ د/ محمد البهي ط ١٢

الناشر مكتبة وهبة ١٩٩١م

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

وعصر الإيمان الفلسفي بالله - يقصد العقل - ليس له وحي، وليس بخالق للعالم... فالتنوير لا يقصد به إلا إبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله فيه والإنسانية التي يبشر بها هذا العصر ليست عوضاً عن القربى من "الله" كهدف للإنسان في سلوكه والإله الذي ليس له وحي لا خلق يتفق مع تحكيم العقل وحده وطلب سيادته على أحداث الحياة واتجاهاتها<sup>(١)</sup>

**وبناءً على ما سبق** كانت هناك خصومة فكرية بين الدين والعقل وكانت نتيجة هذه الخصومة إخضاع الدين للعقل، ولذلك يسمى هذا الزمن فترة سيادة العقل، كما كان العقل السابق عليه عصر سيادة الدين وانبرى فلاسفة العقل الرافضين للدين وإن شئت قل المؤلهين للعقل، الكافرين بالدين مثل "ولف" و"لسنج" وفي انجلترا "جون لوك" وفي فرنسا "فولتير" و"بيلي" و"لامتري" وغيرهم ممن يسمون بفلاسفة النهضة أو عصر التنوير والذي يأتي في مقابلة عصر الظلام، أو عصر سيادة العقل في مواجهة عصور سيادة الدين، أو عصر الإنسان في مقابل عصر اللاهوت. والنتيجة الحتمية هي رفض الدين رفضاً تاماً وبداية الدعوة إلى ما يسمى بعصر العلم أو إن صح التعبير عصر الإلحاد.

لقد دعا الفيلسوف الإنجليزي "لوك" ١٦١٢-١٧٠٤م إلى جعل الدين رأياً شخصياً لمن يريد اعتقاده، وطالب بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض "ويرى لوك أن الدولة الحديثة التي رفعت عن شؤونها كل وصية للكنيسة تنظر إلى كل اعتقاد ديني على أنه رأي شخص وإلى كل رفاقه في الدين على أنها ترابط حر يجب أن يحتمل وأن يدافع عنه طالما لا يهدد نظام الدولة بالإقلاق أو التخريب"<sup>(٢)</sup>.

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٢٥٠ د/ محمد البهي ط ١٢

الناشر مكتبة وهبة ١٩٩١م

(٢) العلمانية والإسلام د/ محمد البهي ص ١٠ .

بينما يرى توماس هوبز ١٥٨٨٨-١٦٧١م أن الدولة صاحبة السيادة وهي تتحكم في الدين، كتحكمها في القانون، وأن التعليم يجب أن يسير على ما تريده الدولة، ويرمي إلى إلغاء الدين بالكلية عن الحياة. أما الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم ١٧١١-١٧٧٦م ذهب إلى أن الدين ليس علماً وإنما هو إحساس وأنكر وجود الله كما أنكر خلود الروح.

يقول الدكتور/ محمد عمارة/: بعد ذكر الفلاسفة الذين ذكرتهم آنفاً معقبات: " وإذا كان العصر الثامن عشر هو عصر التنوير الأوربي، فلقد كان فولتير ١٧٤٣-١٧٧٨م أبرز فلاسفة ومفكري هذا التنوير، فلقد دعا إلى تمجيد العقل بدلاً عن قداسة الدين، وشن حملة شعواء ضد الدين والكنيسة، وأنكر عالم الغيب والبعث والجزاء الأخروي، وقال إن النفس ليست إلا حياة الجسم وأنها تفتى بفنائها، وليس هناك وحى مقدس سوى الطبيعة نفسها، وكتب كثيراً في نقد الدين" (١).

وبهذا نشأت أجيال في أوروبا لا تعرف عن الدين إلا أنه ضد العلم والتنوير الفكري، والتفتيح العقلي (فأصبح المجتمع ينظر من خلال هذا المنظار الذي يلقي بظلاله المعتمدة على الدين) (٢).

وبذلك صارت أوروبا لا تعرف من الأديان إلا ديناً واحداً إيجابياً هو التعبد للمادة والعقل والعلم، فصار رجال العلم يبحثون ويكتشفون ويعللون بعيداً عن الدين، مؤلهين العقل، والعلم، فكما ذكرت سابقاً ربما كان لهم بعض العذر في الغرب، أما دعاة التنوير في الإسلام ما عذرهم هل حجر علماء الدين على العلم أو العقل وهل يوجد في الإسلام سلطة كهنوتية، وهل الدين

(١) الإسلام بين التزوير والتنوير د/ محمد عمارة ص ٢٢-٢٣.

(٢) نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي، محمد زين الهادي العرماني ط ١ ،

١٤٠٧هـ ص ٣٣.

الإسلامي رفض النظر والعلم، وحجر على العقول حتى ينادي أنصار التنوير العربي بتنوير على غرار التنوير الغربي؟!!

لقد انتشر فكر التنوير، بهذا المعنى - تمجيد العقل وحده، بل وعبادته (في إنجلترا وفرنسا ناشراً معه الكفر والإلحاد، والنزعة المادية في الفلسفة . تلك هي أبرز معالم فلسفة التنوير الأوربي وهكذا نشأ كردّ فعل على الكهانة البابوية التي تجاوزت حدود الإنجيل والنصرانية فتحكمت في الدولة والدنيا، وقدستهما وجمدتهما، ثم غرقت في الفساد والاستبداد واضطهدت لا المخالفين في الدين والملاحدة فقط، بل والمخالفين في المذهب أيضاً، حتى كانت عقوبة إقامة قداس بروتستانتي في مجتمع كاثوليكي: سجن النساء مدى الحياة وإرسال الرجال للتجديف حتى الموت، وإعدام الكهنة، وكانت المواكب تسير في ذكرى المذابح الدينية " شكراً لله"، ناهيك عن الذي حدث للعلم والعلماء على أيدي الكهانة الكنسية في تلك العصور)<sup>(١)</sup>

وبعد ما ذكرناه وهو قليل من كثير فهل يستطيع عاقل أن يزعم مجرد زعم وجود شبه بين حضارتنا وحضارة الغرب، ونسأل هل توجد في حضارتنا وفي ديننا خصومة بين الدين وبين العقل؟!!

وهل ثمة خصومة بين الدين والعلم في حضارتنا أو ديننا؟!!

هل يستطيع عاقل أن يزعم (وجود شبه بين النسق الفكري الإسلامي وتطوره الحضاري، وبين هذا الذي حدث في أوربا- الفعل الكنسي، ورد الفعل التنويري، حتى يكون هناك مجال لاستدعاء هذا التنوير الأوربي ليكون تنويراً لنا نحن المسلمين)<sup>(٢)</sup>.

إن الواقع المقروء والمعيش يكذب هذا من أساسه فدعوة القرآن الكريم

(١) قصة الحضارة وول ديورانت ط، القاهرة إسلامية المعرفة د/ محمد عمارة ط، القاهرة ١٩٩١م ، دائرة المعارف البريطانية .

(٢) الإسلام بين التزوير والتنوير د/ محمد عمارة ص ٢٤ بتصرف واختصار.

للعلم، وفتح مغاليق هذا الكون تجل عن الحصر، بل إن دعوة القرآن الكريم للعلم والأخذ بأسباب التقدم هي التي جعلت الحضارة الإسلامية في مقدمة الحضارات لقرون طويلة، وكذلك الواقع المعيش يؤكد ذلك، وقد أقر بهذا كثير من علماء الغرب الذين رأوا أن العلماء المسلمين في الشرق قد حملوا إلى الغرب علوم المتقدمين مصححة منقحة، ومضافاً إليها من خبراتهم العلمية لاسيما وأنهم أول من قال: (بالتجربة العلمية، والخبرتين الحسية والعقلية، فأخرجوا أهل الغرب خلال عصورهم الوسطى المظلمة من الظلام إلى النور، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن الهمجية إلى المدنية، ومن الوحشية إلى الحضارة المشرقة)<sup>(١)</sup>.

حيث اقتبست أوروبا كثيراً من العلوم والفنون التي ازدهرت أو بدأت بتأثيرها على يد العلماء والمفكرين والفلاسفة الإسلاميين (وما ثارت أوروبا على الأوضاع الكنسية والإقطاعية فيها إلا بعد أن عرفت حلاوة الحرية والمساواة والعدل والمعرفة التي كانت تظل الشرق الإسلامي بفضل الإسلام ومبادئه التي تأخى فيها الدين والعلم والعقل، واتسقت مع الفطرة الإنسانية السليمة أيما اتساق، فمبادئ الإسلام وأثاره العلمية في الشرق الإسلامي كانت واحداً من أبرز الأسباب الإيجابية في قيام النهضة الأوروبية وامتدادها إلى العصر الحديث)<sup>(٢)</sup>.

إذن كتاب الإسلام المنظور وسنة نبيه ص سليم ولذا نجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحث على قراءة هذا الكون بل وتدعو إلى ذلك

(١) الإسلام والحضارة العالمية الأستاذ محمد أبو الفيض المنوفي ط: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٣م. ص ٢١٨.

(٢) الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة د/ عبد العظيم المطعني ص ١١٩ - ١٢٠ ط، مكتبة وهبه للطباعة والنشر ١٩٨٧م.

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

وتمدح العلم والعلماء، وكذلك لا توجد خصومة بين الدين والعقل ولا بين الدين والعلم كما هو شأن العصور الوسطى المسيحية ولذلك آثرت أن أختتم هذا البحث بموقف الإسلام من العلم والعلماء، ودعوة الإسلام إلى إعمال العقل لقراءة هذا الكون، وبذلك نرد مزاعم أبواق التنويرين الذين يدعوننا إلى تنوير غربي على غرار التنوير الذي أقصى الدين، وبذكرنا موقف الإسلام من العلم والعقل يتضح بعد ما بين الإسلام والمسيحية، والحضارة الإسلامية والمسيحية وشتان ما بين علماء الدين الإسلامي، ورجال الدين المسيحي، وتكون إجابة السؤال الذي سألناه وهو: هل نحن مدعوين إلى تنوير على غرار التنوير الغربي؟!

للإجابة على هذا السؤال نضع أمام من يطالبون بالتنوير الغربي آيات القرآن الكريم، وسنة النبي ص، وحضارة المسمين وتقدمهم في شتى العلوم وهذا أبلغ رد عليهم.



### المبحث الخامس

### القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم

كانت أول آية في القرآن الكريم دعوة إلى العلم والأخذ به قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ (١) .

هذه الآيات هي أول ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ والناظر فيها يرى أنها تأمر أول ما تأمر بالقراءة فماذا يعني أن تضم الآيات الخمس الأولى ست عبارات تتعلق بالقراءة والعلم والتعليم؟ إن هذه الآيات تشكل افتتاحية وحي السماء، وهو ما يعني أن أهم ما جاء الإسلام لتحقيقه هو نشر العلم بكل فروعه.

وما كان لرسول الله ﷺ أن يأخذ كتاباً ليقرأ سطره لأنه كان أمياً، بل كان المطلوب قراءة ربانية باسم الله الخالق العظيم، الذي خلق الإنسان من حيوان صغير يعلق في الرحم بعد اتحاد البويضة.

وهذا الخالق العظيم جعل من القلم أساساً للعلم، وبهذا القلم تعلم الإنسان كثيراً من المعارف، وما زال الكثير أمامه ليتعلمه.

إن أول أمر إلهي للإنسان الغارق في الجهل والجاهلية حمله إليه النبي الكريم الأمي "اقرأ" بكل ما تحمله هذه الكلمة من إichاء إلى طرق أبواب العلم والمعرفة، ثم أتبع هذه الدعوة إلى القراءة بدعوة أختها وهي الكتابة بالقلم "الذي علم بالقلم" تنبيهاً وإشارة إلى أن حضارة الإسلام لن تبقى إلا بالعلم، وعماد العلم البشري القراءة والكتابة.

والجدير بالذكر أنه ليس المقصود بالعلم مجرد تحصيل العلوم الشرعية وما يتصل بها، بل هو مطلق العلم النافع في الدنيا والآخرة، والذي يهدي

(١) سورة العلق الآيات ١ : ٥.

أهله لمعرفة قوانين الله -تعالى- فيما خلق وأوجد في هذا الكون، وتسخير ذلك لخدمة الإنسان ورفاهيته، ومن ثم لتحضر المجتمع ورفاهيته، والسعي لرفقه وتمدنه، وهناك أدلة كثيرة في كتاب الله تؤيد هذه الحقيقة وتدعمها منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١١٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١١١﴾ (١)

والآيات السابقة فيها إحياء من الله -تعالى- لكي يقوي المسلم قواه العقلية بدراسة علم الفلك، وطبقات الأرض، والجبال، والأنهار، ومن ثم تسخير هذه القوى الكبيرة لخدمة الإنسان، فكل ما نراه من حضارة راقية، ومدنية زاهرة، هي من نتاج العقل المفكر، والإسلام حين دعا إلى التفكير وحث عليه، إنما أراد ذلك لتنمية نطاق العقل، وتوسيع مداركه، فدعا إلى النظر فيما خلق الله في السموات والأرض، وفي الإنسان نفسه، وفي الجماعات البشرية لأن وظيفة العقل هي التأمل والتفكير ومن ثم الإبداع، فإذا بطل عمل العقل توقف تطور الحياة وتجمد، وقد أراد الإسلام للإنسان أن ينهض من سباته، فعد التفكير والتعلم من جوهر العبادة، وحارب التقليد الأعمى الذي يمنع العقل من الانطلاق والبحث، ويقف به عند حدود القديم المؤلف قال تعالى: ﴿...إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ۝١٣﴾ (٢).

ولولا يقظة العقل وتوجيه الله -تعالى- له لما اهتدت البشرية إلى قوانين الحياة، وعلل الوجود، وسنن الله في الكون ولبقيت كما خلقت دون تطور، ولكن العقل المستنير بنور العلم استطاع أن يستخرج من الأرض كنوزها،

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠، ١٩١ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٢٣ .

وَأَنْ يَسْتَنْبِتْ خَيْرَاتِهَا، وَيَقْرُبَ الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةَ، وَيَكْتَشِفَ الْقَوَانِينَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لِيَنْفِذَ بِذَلِكَ الْمَهْمَةَ الَّتِي كَلَفَهُ اللَّهُ بِهَا، وَاسْتَخْلَفَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِهَا. إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْعَلَقِ، وَغَيْرِهَا مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَعَكُّسُ مَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْعِلْمِ، كَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَمَرَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ بِلزوم العناية بالعلم، وعلى رأسها أمر الرسول ﷺ ومن وراءه من أُمته بأن يدعو ربه طالباً منه أن يزيده من العلم قال تعالى: ﴿...وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَوْنِيَّةً إِنَّهُ أَتَى السَّابِقَ أَوْ قَائِمًا يُحْذِرُ الْآخِرَةَ وَرِجْوَ رَحْمَةِ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَئِكَ﴾<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الآيات التي تجل عن الحصر، وليست الدعوة إلى العلم دعوة إلى العلم الديني فقط كما يتوهم البعض ولكنها دعوة إلى العلم النافع بكل مجالاته يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُتَخَلِّفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُتَخَلِّفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۗ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُتَخَلِّفٌ أَلْوَانُهُ ۚ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيجٍ ۖ﴾<sup>(٤)</sup> بل ودعوة الإسلام إلى النظر في هذا الكون وفتح مغاليقه يقول سبحانه: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

(۱) سورة طه آية ۱۱۴

(٢) سورة الزمر آية ٩.

(۳) سورة فاطر الآيتان ۲۷، ۲۸.

(٤) سورة ق الأيتان ٦ ، ٧.

(٥) سورة يونس آية ١٠١.

وآيات القرآن الكريم التي تحت على العلم والنظر وإعمال العقل وفتح مغاليق الكون تجل عن الحصر. ولذلك انبرى علماء المسلمين الأوائل أخذاً بالهدي الإلهي والوحي القرآني فبرعوا في جميع العلوم الدينية والدنيوية على حد سواء حتى أقاموا حضارة في وقت قصير أبهرت الدنيا وما ذلك إلا إذعاناً للوحي الإلهي، والمنهج الرباني فكانت علوم الدنيا تسير جنباً إلى جنب مع علوم الدين فكان بينهما انسجام وتواءم لأنه لا يوجد نص في القرآن الكريم أو السنة النبوية يتعارض مع العلم الحديث وهو ما يؤكد موريس بوكاي: (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق، وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة عن طريق الترجمات أن القرآن الكريم يذكر أنواعاً من الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة وبفضل الدراسة الواعية استطعت أن أحقق ما أدركته بعد الانتهاء منه، وهو أن القرآن الكريم يحتوى على مقولة للحد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث)<sup>(١)</sup>.

إنني أقول لدعاة التنوير الغربي من بني جلدتنا لا تقرأوا لعلماء المسلمين فربما ينتابكم الشك من كتاباتهم أو تظنون بهم عصبية لدينهم وتراثهم، بل طالعوا كتب المنصفين من الغرب أمثال موريس بوكاي ذلك الطبيب الفرنسي الأصل المسيحي الديانة الكاثوليكي المعتقد الذي أجرى موازنة موضوعية بين التوراة والإنجيل والقرآن الكريم توصل فيها إلى أن القرآن الكريم لا يعارض العلم الحديث بعد أن بين علمياً بموضوعية شديدة - وهو العالم الحاذق - خرافات الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم "التوراة"

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي ص ١٣

ط دار المعارف ١٩٨٠م.

والعهد الجديد " الإنجيل" ثم انتقل إلى دراسة القرآن الكريم فقال: (بداية يثير الجمع بين القرآن والعلم الدهشة وخاصة أن المقصود في علاقة الجمع هذه هو التواءم بين الاثنين وليس التنافر)<sup>(١)</sup> .

نعم هي علاقة تواءم تثير الدهشة ثم يقول: (ففي الوسط المسيحي وعبر قرون كثيرة بادت سلطات مسؤولة - يقصد الكنيسة- ودون الاعتماد على أي نصوص حقيقية للكتب المقدسة بمعارضة تطور العلوم، اتخذت هذه السلطات ضد العلماء الذين كانوا يحاولون تطوير العلوم الإجراءات التي نعرفها، تلك التي دفعت العلماء إلى المنفى تلافياً للموت حرقاً، أو إلى طلب المغفرة بتعديل مواقفهم، وبالتماس العفو وفي هذا الشأن نذكر دائماً قصة جاليليو الذي حوكم لأنه استأنف مكتشفات قوبرنيك الخاصة بدوران الأرض ولقد أدين جاليليو بسبب تفسير خاطئ للتوراة لأنه ليس هناك أي نص مقدس يمكن الاستشهاد به يشكل قيمة ضد جاليليو)<sup>(٢)</sup> .

ثم يعقب بقوله: أما في الإسلام فعموماً كان الموقف إزاء العلم مختلفاً إذ ليس هناك أوضح من ذلك الحديث الشهير للنبي ﷺ الذي يقول: **(اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ)**<sup>(٣)</sup> أو ذلك الحديث الآخر الذي يقول: **(إِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ)**<sup>(٤)</sup> .

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف

الحديثة د/ موريس بوكاي ص ١٣٥

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف

الحديثة د/ موريس بوكاي ص ١٤٠ بتصرف.

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ت عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندواوي

٢ / ٤٩ ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ط: المكتبة العصرية.

(٤) الحديث في سنن ابن ماجة وغيره بدون لفظة مسلمة ينظر: سنن ابن ماجه باب:

فضل العلماء والحث على طلب العلم ٢١٥/١ حديث رقم: (٢٢٥) الطبعة: الأولى

١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م ٢٢٤ وقال الألباني: صحيح. ط: دار الجيل

هناك أمر رئيس في القرآن كما سنرى إلى جانب أنه يدعو إلى المواظبة على الاشتغال بالعلم، فإنه يحتوى أيضاً على تأملات عديدة خاصة بالظواهر الطبيعية وتفاصيل توضيحية تتفق تماماً مع معطيات العم الحديث وليس هناك ما يعادل ذلك في التوراة والإنجيل<sup>(١)</sup>.

هذه مقولة رجل كان مسيحياً كاثوليكياً والفضل ما شهدت به الأعداء نضعها بين يدي دعاة التنوير الغربي من المسلمين حتى يتضح بجلاء أن الإسلام ونبيه وكتابه وعلماءه لا يقفون حجر عثرة في وجه العلم والعلماء بل إن الإسلام هو الذي أعلى شأن الإنسان وكرمه وسخر له كل ما في الكون قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

إذن ليس الغرب هو من أعلى شأن الإنسان ولا فلاسفة الغرب إنما هو الله سبحانه وتعالى الذي خلق آدم وأسجد له ملائكته وفضله بالعقل، وأطلق له العنان ليقراً هذا العالم المنظور ولم يحجر على إنسانيته وعقله فأين هذا مما ذكرناه عند امتهان إنسانية الإنسان في الغرب في العصور الوسطى.

إننا نقول لدعاة التنوير إن الحضارة الإسلامية أصدق شاهداً وأدل دلالة على أن الدين لا يعوق البحث العلمي، ولا الأخذ بأسباب الرقي والتقدم، ولعلنا متفقون نحن وهم إذا رجعنا إلى قراءة تاريخ المسلمين عندما كانوا يحتكمون إلى شريعة ربهم متمسكين بدينهم إلى أي حضارة وصلوا، وأي مجد بلغوا في حين أننا أيضاً متفقون ودعاة التنوير كيف كان حال الغرب في العصور الوسطى عندما تمسكوا بدين محرف قائم على وضع رجال الدين وليس على الوحي الإلهي، وهو ما يؤكد ما ذكرته في أول البحث وفي

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلوم، مورييس بوكاي ص ١٤٠.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠.

ثناياه أن ما ينسحب على دين لا ينسحب على آخر . إن دعاة التنوير يعلمون يقيناً أن الحضارة الإسلامية بلغت أوج مجدها في كل المجالات عندما كان الدين حاكماً وذلك بدعوة من الوحي الإلهي المقروء والمنظور وليس كما يزعمون.

لقد تناول الطبيب الفرنسي " بوكاي " في مقارنة بين التوراة والانجيل والقرآن كثيراً من الحقائق مثل خلق السموات والأرض والنظام الشمسي والمجرات، وتعدد العوالم، وعلم الفلك، وعلم الجيولوجيا والحفريات وعلم النبات والحيوان، والإنسان أو ما سماه التناسل الإنساني وهو الطبيب والعالم الحاذق شارحاً كل هذه الموضوعات شرحاً وافياً مأخوذاً من آيات القرآن الكريم متوصلاً إلى ما نقلته عنه من التواءم والتوافق الذي يثير الدهشة.

وأخيراً نقول لدعاة التنوير ارجعوا إلى علماء الغرب واسألوهم من الذي وضع بذور الحضارة الغربية اسألوهم عن ابن سينا وابن رشد والحسن بن الهيثم والفارابي والغزالي وعباس بن فرناس وأبو القاسم الزهراوي أعظم الجراحين المسلمين في الأندلس ومريم الإسطرلابية عالمة الفلك، والجزري العالم المسلم الذي أنصفته أوربا الذي اخترع مضخات المياه، والعديد من الآلات الموسيقية والساعات المائية واختراعه العظيم ساعة الفيل. والخوارزمي عالم الرياضيات والكندي الذي برع إلى جانب الفلسفة في علوم الفلك والفيزياء والكيمياء وعلم النفس والموسيقى والطب والمنطق وغيره من العلوم، وجابر بن حيان عالم الكيمياء والفلسفة. وابن بطوطة الرحالة، وابن خلدون الذي أنشأ علم الاجتماع، والبتاني وهو أشهر العلماء في الفلك والجغرافيا وأشهر العلماء في رصد الكواكب.

وغيرهم وغيرهم، لم يدع علماء المسلمين علماً ولا فناً من العلوم والفنون إلا وكان لهم قصب السبق فيه، وأصدق الأدلة على براعتهم تلك

### قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

العمارة التي تظل شاهدة على إبداعاتهم. أين ذلك من الغرب في ذلك الوقت الذي كانوا يرتعون فيه في الظلمات والجهل والتخلف بينما يحيا المسلمون في أوج الحضارة في شتى العلوم والفنون.

إننا نقول لدعاة التنوير لقد تخلينا عن ديننا وسرنا في ركابكم علمانية مرة، وشيوعية أخرى، ورأسمالية، وليبرالية ثالثة، وعشنا كل النظم المستوردة هل تقدمنا، هل أصبحت لنا حضارة، هل تبوأنا ما نصبوا إليه كلا والله، والواقع المشاهد خير دليل على ذلك وشاهد.



### الخاتمة

وبعد هذه الرحلة في هذا البحث يتبين لنا بجلاء:

أولاً: أن مصطلح التنوير بالمفهوم الغربي الذي يدعو إليه دعاة التنوير من بني جلدتنا ليلاً ونهاراً يزعم أنه الحل الوحيد من أجل اللحاق بالحضارة الغربية والأخذ بأسباب التقدم هو نوع من المكر الخبيث الذي يستخدمه الغرب عن طريق أذئاب الغرب وسماسرة الاستعمار من أجل إخراج المسلمين من دينهم، ومحاولة تشكيك الشباب المسلم ممن لا فقه له ولا علم بالمقارنات الحضارية واضعين أمامهم حضارة الغرب المادية القائمة على حضارة الجسد والمادة فقط.

ثانياً: أن مصطلح التنوير بالمفهوم الغربي هو نوع من أنواع الغزو الفكري للعالم الإسلامي حتى يسير سيرة الغرب المادي اللاديني الملحد.

ثالثاً: أن الإسلام جاء عقيدة وشريعة تضمن للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة وأن السبيل أمام المسلمين واحد هو التمسك بدينهم والرجوع إلى هدى نبيهم ص كما فعل سلفهم.

رابعاً: أن الإسلام ليس فيه كهنوت ولا سلطة بابوية أو روحية وإنما جاء الإسلام عقيدة وشريعة تتمثل العقيدة في علاقة الإنسان بربه، وتتمثل الشريعة في علاقة الإنسان بهذا الكون وكيف يحيا عليه ويسخره لخدمة البشرية.

خامساً: إن الغرب في رفضه للدين أنتج حضارة حيوانية بهيمية قائمة على عبودية العقل ورفض الوحي مما ترتب عليه حضارة الجسد التي ترى أن البقاء للأقوى، ولم تقدم للإنسانية أي خير خلاف الحضارة الإسلامية التي سمت بالإنسانية.

سادساً: إن دعوة الإسلام للعلم وامتداح العلماء أنتجت تراثاً حضارياً كان النواة الأولى للحضارة الغربية الحديثة.

سابعاً: شهد المنصفون من الغربيين بفضل الحضارة الإسلامية.

ثامناً: لابد من التفرقة بين التنوير الإسلامي القائم على المنهج الإلهي والذي يسمى التجديد، وبين التنوير الغربي القائم على رفض الدين جملة وتفصيلاً.

تاسعاً: لابد من توعية الشباب المسلم بفقہ المصطلحات حتى لا يقع في فخاخ وشباك هؤلاء المتغربين.

عاشراً: لابد من تفنيد مزاعم هؤلاء التنويريين ودحض شبهاتهم.

### المصادر والمراجع

القرآن الكريم: جل من أنزله

- ١- أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوروبية عمر فروخ ط، بيروت.
- ٢- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/ محمود حمدي زقزوق ط: دار المنار ط ٢ ١٩٨٩م
- ٣- الإسلام بين التنوير والتنوير د/ محمد عمارة ، دار الشروق.
- ٤- الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة د/ عبد العظيم المطعني ط، مكتبة وهبه للطباعة والنشر ١٩٨٧م.
- ٥- الإسلام والحضارة العالمية الأستاذ محمد أبو الفيض المنوفي . ط: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٣م.
- ٦- إسلامية المعرفة د/ محمد عمارة ط، القاهرة ١٩٩١م ، دائرة المعارف البريطانية.
- ٧- أفكار ورجال جرين برنتن ط، مصر ١٩٦٥م
- ٨- تيارات الفكر الفلسفي أندريه كريسون ط، عديدات بيروت.
- ٩- الحضارة فريضة إسلامية د/ محمود حمدي زقزوق ،هدية مجلة الأزهر عدد رجب ١٤٣٨هـ.
- ١٠- حكمة الغرب: برتراند راسل ترجمة د/ فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨٣م.
- ١١- الخطر الشيوعي في بلاد الإسلام د/ محمد شامه، ط مكتبة شامه ط الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ١٢- دائرة المعارف الإسلامية مجموعة المستشرقين ط، دار الشعب.
- ١٣- دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ط، القاهرة .
- ١٤- دراسات في الفلسفة الحديثة د/ محمود حمدي زقزوق ط، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٥م

- ١٥- سنن ابن ماجه الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م، ط: دار الجيل.
- ١٦- سنن الدارمي تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٧- شرح رسالة القديس بولس إلى أهل رومية د/ الخوري جرجس فرح، منشورات المعهد- المعادي.
- ١٨- عقائد المفكرين في القرن العشرين أ./ عباس العقاد ط: دار المعارف.
- ١٩- العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق د/ محمد البهي، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤٤٠ هـ .
- ٢٠- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د/ محمد البهي ط ١٢ الناشر مكتبة وهبة ١٩٩١م
- ٢١- فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين د/ محمد عمارة ط، جمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية . سلسلة نحو وعي إسلامي ١.
- ٢٢- الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه د/ محمود عثمان . ط، الأولى دار النشر مكتبة الأنجلو الأمريكية
- ٢٣- القاموس المحيط أحمد عطية الله ط، القاهرة ١٩٦٣م
- ٢٤- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة د/ مورييس بوكاي ، ط دار المعارف ١٩٨٠م.
- ٢٥- قصة الحضارة وول ديورانت ط، القاهرة .
- ٢٦- قصة الحضارة ويل ديورانت ط، الدجوى ١٩٧٥
- ٢٧- قصة الصراع بين الدين والفلسفة د/ توفيق الطويل ط، دار الآداب الجاميز
- ٢٨- كشاف مصطلحات الفنون ط، الهند ١٨٩٢ م.

- ٢٩- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ت عبد الحميد بن أحمد ابن يوسف بن هنداي، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ط: المكتبة العصرية.
- ٣٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي ط: دمشق ١٩٨٢م .
- ٣١- الكنيسة الكاثوليكية عربيه عن المطبعة اللاتينية الأصلية المتروبوليت حبيب باشا المفكران يوحنا منصور المطران كيرليس سليم بسترس الأب حنا الناخوري.
- ٣٢- لسان العرب ابن منظور ط، دار المعارف القاهرة
- ٣٣- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ط مكتبة الإيمان.
- ٣٤- محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية الرياض سنة ١٤٤٠هـ.
- ٣٥- مدخل إلى المذاهب الفكرية المعاصرة د/ أحمد السيد على رمضان ط: مكتبات جزيرة الورد، ٢٠١٦م.
- ٣٦- المسيحية د/ أحمد شلبي ،الناشر مكتبة النهضة المصرية، طبعة سنة ١٩٩٣م
- ٣٧- المشكلة الأخلاقية د/ زكريا ابراهيم ،ط مكتبة مصر ضمن سلسلة مشكلات فلسفية
- ٣٨- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة لأندرية كريسون د/ عبد الحليم محمود ط، دار الرشاد
- ٣٩- مصطلح التنوير مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث نظرة تقويمية.

## قضية التنوير بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

- ٤٠- معالم تاريخ الإنسانية ويلز، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد
- ٤١- المعجم الفلسفي تصدير د/ إبراهيم مذكور، ط: مجمع اللغة العربية، القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م
- ٤٢- المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى، و أحمد حسن الزيات، وآخرون، الطبعة: الثانية ١٩٧٢م . ط: المكتبة الإسلامية، تركيا.
- ٤٣- الموطأ للإمام مالك ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ٤٤- نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي، محمد زين الهادي العرمانى ط ١ ، ١٤٠٧هـ.

### References

The Holy Quran: The Revelation from the Almighty

- 1.The Impact of Islamic Philosophy on European Philosophy, Omar Farrukh, Beirut.
- 2.Orientalism and the Intellectual Background of the Civilizational Conflict, Dr. Mahmoud Hamdi Zaqzouq, Dar Al-Manar, 2nd Edition, 1989 CE.
- 3.Islam Between Distortion and Enlightenment, Dr. Muhammad Imara, Dar Al-Shorouk.
- 4.Islam in Confrontation with Contemporary Ideologies, Dr. Abd Al-Azim Al-Mat'ani, Wahba Printing and Publishing Library, 1987 CE.
- 5.Islam and World Civilization, Professor Muhammad Abu Al-Fayd Al-Manufi, The General Authority for Amiri Press Affairs, 1973 CE.
- 6.Islamization of Knowledge, Dr. Muhammad Imara, Cairo, 1991 CE, Encyclopaedia Britannica.
- 7.Ideas and Men, Crane Brinton, Egypt, 1965 CE.
- 8.Currents of Philosophical Thought, André Cresson, Numerous Editions, Beirut.
- 9.Civilization is an Islamic Obligation, Dr. Mahmoud Hamdi Zaqzouq, Gift from Al-Azhar Magazine, Rajab Issue 1438 AH.
- 10.The Wisdom of the West, Bertrand Russell, Translated by Dr. Fouad Zakaria, Alam Al-Ma'rifah Series, Kuwait, 1983 CE.
- 11.The Communist Danger in Islamic Countries, Dr. Muhammad Shammah, Shammah Library, 2nd Edition, 1411 AH / 1990 CE.
- 12.The Encyclopaedia of Islam, A Group of Orientalists, Dar Al-Shaab.
- 13.Al-Bustani's Encyclopaedia for Teachers, Butrus Al-Bustani, Cairo.

14. Studies in Modern Philosophy, Dr. Mahmoud Hamdi Zaqzouq, Al-Muhammadiyya Printing House, 1985 CE.
15. Sunan Ibn Majah, 1st Edition, 1418 AH / 1998 CE, Dar Al-Jeel.
16. Sunan Al-Darimi, Edited by: Hussein Salim Asad Al-Darani, Publisher: Dar Al-Mughni for Publishing and Distribution, Saudi Arabia, 1st Edition, 1412 AH / 2000 CE.
17. Explanation of the Epistle of Saint Paul to the Romans, Dr. Al-Khoury Girgis Farah, Publications of the Institute - Al-Maadi.
18. Doctrines of Twentieth-Century Thinkers, Abbas Al-Aqqad, Dar Al-Ma'arif.
19. Secularism and Islam Between Thought and Application, Dr. Muhammad Al-Bahi, Gift from Al-Azhar Magazine for Dhu al-Qa'dah 1440 AH.
20. Modern Islamic Thought and its Relation to Western Colonialism, Dr. Muhammad Al-Bahi, 12th Edition, Publisher: Wahba Library, 1991 CE.
21. The Thought of Enlightenment Between Secularists and Islamists, Dr. Muhammad Imara, The Global Center for Documentation, Studies and Islamic Education Association, Towards an Islamic Awareness Series 1.
22. Modern Materialistic Thought and Islam's Stance Towards It, Dr. Mahmoud Othman, 1st Edition, Publisher: The Anglo-Egyptian Bookshop.
23. Al-Qamus Al-Muhit, Ahmed Atiya Allah, Cairo, 1963 CE.
24. The Holy Quran, the Torah, the Gospel, and Science: A Study of the Holy Scriptures in the Light of Modern Knowledge, Dr. Maurice Bucaille, Dar Al-Ma'arif, 1980 CE.
25. The Story of Civilization, Will Durant, Cairo.



- 26.The Story of Civilization, Will Durant, Al-Digwy, 1975 CE.
- 27.The Story of the Conflict Between Religion and Philosophy, Dr. Tawfiq Al-Tawil, Dar Al-Adab Al-Jamamiz.
- 28.Index of Arts Terminology, India, 1892 CE.
- 29.Kashf al-Khafa' wa Muzil al-Ilbas by Al-Ajlouni, Edited by Abd al-Hamid bin Ahmad bin Yusuf bin Hindawi, 1st Edition, 1420 AH / 2000 CE, Al-Maktaba Al-Asriya.
- 30.Al-Kulliyat: A Dictionary of Linguistic Terms and Differences, by Abi al-Baqa' al-Kafawi, Damascus, 1982 CE.
- 31.The Catholic Church, Translated from the Original Latin Printing, Metropolitan Habib Basha, Thinkers: Youhanna Mansour, Bishop Kyrillos Salim Bustros, Father Hanna Al-Nakhuri.
- 32.Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Dar Al-Ma'arif, Cairo.
- 33.What Did the World Lose Due to the Decline of Muslims?, Abu al-Hasan al-Nadwi, Iman Library.
- 34.Lectures on Christianity, Sheikh Muhammad Abu Zahra, The General Presidency of the Departments of Scientific Research, Ifta, Da'wah and Guidance, Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, 1440 AH.
- 35.Introduction to Contemporary Intellectual Doctrines, Dr. Ahmed El-Sayed Ali Ramadan, Jazeera Al-Ward Libraries, 2016 CE.
- 36.Christianity, Dr. Ahmed Shalaby, Publisher: The Egyptian Renaissance Library, Edition of 1993 CE.
- 37.The Ethical Problem, Dr. Zakaria Ibrahim, Misr Library, Within the Series of Philosophical Problems.
- 38.The Ethical Problem and the Philosophers, André Cresson, Translated by Dr. Abd al-Halim Mahmoud,

Dar al-Rashad.

39. The Term of Al-Tanwir "Enlightenment": Its Concepts and Trends in the Modern Islamic World - An Evaluative Perspective.
40. The Outline of History, H.G. Wells, Translated by Abd al-Aziz Tawfiq Jawid.
41. The Philosophical Lexicon, Introduction by Dr. Ibrahim Madkour, The Academy of the Arabic Language, Cairo, The General Authority for Amiri Press Affairs, 1403 AH / 1982 CE.
42. Al-Mu'jam Al-Wasit, Ibrahim Mustafa, Ahmed Hassan Al-Zayyat, et al., 2nd Edition, 1972 CE, The Islamic Library, Turkey.
43. Al-Muwatta' of Imam Malik, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon, Edition of 1406 AH / 1985 CE.
44. The Emergence of Secularism and its Entry into Islamic Society, Muhammad Zein Al-Hadi Al-Armani, 1st Edition, 1407 AH.

## المحتويات

| الصفحة | الموضوع  |
|--------|--|
| ٨٧     | المقدمة  |
| ٩٣     | المبحث الأول: مفهوم التنوير الإسلامي والتنوير الغربي       |
| ٩٣     | تعريف التنوير في اللغة                                     |
| ٩٧     | مفهوم التنوير عند الغربيين.                                |
| ١٠٢    | المبحث الثاني: عوامل ظهور فلسفة التنوير الغربي             |
| ١٠٢    | أولاً: سلطة البابا.  |
| ١٠٩    | موقف الكنيسة من التفسيرات الكونية وعلوم الدنيا.            |
| ١١١    | فساد أخلاق رجال الكنيسة                                    |
| ١١٣    | غفران الذنوب - صكوك الغفران                                |
| ١١٥    | المبحث الثالث: حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة الأوروبية |
| ١١٦    | ضعف نتائج الحركة الإصلاحية.                                |
| ١١٨    | عوامل قيام عصر النهضة الفكرية في أوروبا                    |
| ١٢٠    | ١ - النهضة الأدبية.  |
| ١٢٠    | ٢ - النزعة الإنسانية.                                      |
| ١٢٢    | ٣ - نشأة العلوم الطبيعية.                                  |
| ١٢٥    | المبحث الرابع: بين تنوير وتنوير.                           |
| ١٢٧    | طابع المرحلة التي أعقبت الطغيان الكنسي                     |
| ١٣٣    | المبحث الخامس: القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم         |
| ١٤١    | الخاتمة  |
| ١٥١    | المحتويات  |

